هذيان كل يوم

وقصص أخرة

مأمون المغازي

obeikandl.com

هذيان كل يوم

مأمون المغازي، محمد

m.almoghazi@gmail.com

رقم الايداع / ١٥٥٧٧ / ٢٠١٣ ط١

تدمك / ٩ - ٣٩ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

لوحة الغلاف / جدارية «صاحبي السجن» مهداة
من النحات المصري الكبير
أ.د. السيد عبده سليم

غلاف / فاطمة عشرى

ليليت للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد

المراسلات : ٩ش صلاح الدين - عطارين

مول الوطنية التجارى - الدور الثانى

ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧

: ٠١١٤٤٥٩٥٧٥٧

Dar.lilitte@gmail.com

lilettepublishing@gmail.com

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤن الفنية

دار الوثائق القومية

مأمون محمد المغازى

هذيان كل يوم ، مجموعة قصصية

دار ليليت للنشر والتوزيع ،٢٠١٣ ط١

ص ،سم ١٣×٢٠

تدمك /٩ -٣٩ -٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الايداع / ١٥٥٧٧ / ٢٠١٣

obeikandi.com

هذيان كل يوم ..

دالة تشغلني ومدلولاتها تشرق من خلال حزمة
القصص التي اخترتها لتكون بين دفتي هذا الكتاب
وهي قصص كتبت في الزمن بين ٢٠٠٥ و ٢٠١٢ وها هي
أنشرها الآن دون غيرها من قصص كتبت فيما قبل وفيما بعد
وسأكون حاضرا معك وأنت تقرأ راجيا أن أحسن ضيافتك.

مأمون المغازى

obeikandl.com

obeikandl.com

مأمون المغازي ..

سلامٌ لك من القلب نحو بصيرتك المتدفقة
بالرقي والسمو والأمل .. وسلامٌ على إبداعك
الموصول بعبقرية الفكر والفلسفة والوطن ..
وقليل هو ما أهديه لك .. أهدي صور لوحتي
«صاحبي السجادة» لتكون في غلاف مجموعتك
«هذيان كل يوم»

ولك مني كل تقدير وامتنان

المثال

د. السيد حجده سليم

٢٠١٣م

obeikandl.com

obeikandl.com

إلى نسائي الأربع..

مصر... التي ستبقى مصر الله إلى الأبد

أمي... الهدية التي لا تتبدد.

رشا... زوجتي التي تنثر السعادة أينما حلت.

والأنثى المثال التى إن تحققت واقعًا تحول الحب إلى مادة قابلة للتكسير.

مأمون

obeikandl.com

obeikandl.com

الـــــدفء

obeikandl.com

obeikandl.com

السماء فتحت كل أبوابها مطرًا، والبرد يجمد هواء المدينة، لكنها أصرت أن تذهب إلى عملها في موعدها، إنها لم تعتد التخلف عن أداء مهامها الوظيفية، ومداعبة زملائها بألفاظها الحانية الرقيقة، وصوتها الناعم الذي ينطلق (بكوبليهات) غنائية خفيفة من حين إلى حين وكأنها ملخص المصنفات الفنية الغنائية... ركبت سيارتها الفارهة وقطعت شوارع المدينة التي لم تشرق الشمس عليها لكثافة الغيوم، ولكن ذلك لم يمنعها من قيادتها الرعناء، حتى الأمطار الغزيرة لم تمنعها لأنها كانت تقود وكأنها بمفردها في الطريق... وصلت إلى الهيئة الحكومية التي تعمل فيها وبمجرد دخولها خلعت عنها معطفها الذي لم تصبه إلا قطرات قليلة... بدأت تدق الأرض كعادتها وكأنها تعزف عليها مقطوعة موسيقية يرقص عليها ذلك الجسد الممتلئ الطري، تنطلق في وجهها تلك الابتسامة التي تغمر بها كل من يقابلها، فتتبسم لهذا وترسل بغمزة لهذا أو لتلك، أما هذه المرة فهي تصعد الدرج بمفردها، تتكلم إلى نفسها فليس المكان كعادته؛ فالأفراد الموجودون اليوم قليل... إن الكثيرين من معارفها غير موجودين في الموعد كالعادة، فإلى من تتحدث في طريقها إلى غرفتها؟ تتساءل: يا ترى هل زملائي في الغرفة؟ وصلوا أم لا؟ إنه لأمر محزن ألا يأتوا اليوم... كيف سأقضي اليوم؟ ربما يأتي الجميع بعد قليل... ما زال الوقت باكرًا.ما هذا؟ إن أضواء الممرات لم تشعل بعد؟ لابد أن العامل لم يأت هو الآخر. يا ترى من سيعد

لي قهوة الصباح؟ إن لم يأت كيف أعدها لنفسي؟ ولكن المهم من الذي سيحكي لي أحدث نكتة إذا تغيب اليوم؟ يبدو أن اليوم سيكون كئيبًا... وصلت إلى الغرفة وفتحت الباب حانقة... فجأة صاحت: أنت هنا ؟

فأجاب: طبعًا يا مدام... يا صباح الورد والفل.

ـ لم أكن أتوقع أن أحدًا هنا... لكن من الواضح أنك لا تحب تغيير نظام حياتك. ـ هذه فرصتي يا مدام، فقد لا يأتي غيري... ضحك ضحكته المعتادة... جلست في مكانها المعتاد... مدت يديها إلى المكتب تداعب بعض الأوراق وهي تقول: على الرغم من أنني لم أقض في هذه الهيئة أكثر من شهر إلا أنني أشعر أن كل من في هذه الحجرة خفيفو الظل... يتمتعون بروح الفكاهة على الرغم من كثرة الأعمال المسندة إليهم... لم أعد أشعر بالفراغ في حياتي... الفراغ مرض قاتل يمتص عمر المرأة وسعادتها بتؤدة... ابتسم قائلاً: لقد كان الجو باردًا ليلة البارحة ـ الجو دائمًا بارد .

انفلتت منها الكلمة وكأنها نكتة ظريفة جعلته ينفجر بالضحك ويقهقه ويقول: آآآآه.

تعجبت من ضحكته وسألته: لماذا كل هذا الضحك؟

ـ يا مدام أنا دارس علم نفس.

ـ صحيح ؟ لم أكن أعلم.

ـ يا مدام انا أستطيع أن أقرأ في وجهك كل أفكارك.

ـ كل أفكاري ؟

ـ لا . بل كل تاريخك يامدام... أنا دارس علم نفس.

ـ يعني تقدر تحس بي؟

ـ يا مدام أنا أحس بك جدًا جدًا ... فوق ما تتصورين.

ـ يا سلام!!!

تتبسم في دلالها المعتاد.

ـ كل نظرة منك تحكي حكاية... كل حركة منك تنفض حولك آمالاً وتطلعات قوية... كل حكاية تحكينها أو خبر في الجريدة تعيدينه علينا يقص ما في نفسك ويظهر خيالاتك.

ـ وهل لاحظ الجميع ذلك ؟

ـ يا مدام أنا دارس علم نفس.

obeikandl.com

قالت وهي تقف تاركة مكانها: الآن عرفت لماذا كنت تديم إلي النظر كثيرًا... هل كنت تحاول أن تنفذ إلى أعماقي... صمتت... شردت بفكرها وهي تقبض على حافة طاولتها... يدقق النظر فيها... ينقر على طاولته بأظافره... دقاته كأنها موسيقا تصويرية لمشهد ترقب في فيلم من أفلام الأبيض والأسود... فجأة دخل العامل كعادته دون أن يطرق الباب مغنيًا: (يا صباح الخير يللي معانا)... فانتبهت ضاحكة وهي تغني: (الفنجان غنى و صحانا) ... تناولت فنجانها المميز وكأنها استعادت كنزها المفقود من ألف عام وقالت: بسرعة... آخر نكتة... قال العامل: قالت إحداهن لزوجها: (لما يشتد برد الشتا يشتد دفا المرأة ودلعها قال الزوج: مش مهم الدفاية المهم اللي بيولعها.) انفجرت بالضحك وهي تقول: (دلعها دلعها... ولعها ولعها) انصرف العامل... التفتت إلى زميلها فوجدته كأن النكتة لم تؤثر فيه... توقفت عن الضحك... جلست في المقعد القريب منه... قالت وهي تتنهد وتهز رجليها مرتكنة بساعديها على طاولته: وماذا يا دارس علم النفس؟ ابتسم وقال: واضح أنك ممتلئة بالمشاكل والهموم والأحزان... تنهدت وقالت: لم يخلق الهم إلا لي أنا وحدي، لكني أشغل نفسي عن همومي بأشياء كثيرة، ربما أكثرها تافه... اليوم عند (الكوافير)... غدًا عند صديقتي هذه... بعده عند أخرى... أدخل إلى سريري الساعة التاسعة مساءً... إنني أنام كثيرًا لأحلم كثيرًا، فحياتي كلها في الأحلام ... كأن عقلي

يبرمج كل ما يدور به وينتقل به وبي إلى عالم بعيد ألبي فيه كل رغباتي وأحيانًا ألتقي فيه بزوجي... أو لعله يراني من بعيد... أو أراه من بعيد، لكنني أكون منشغلة بمن في الحلم عنه، وأصارع نفسي كي أظهر له أنني أهتم به فلا أستطيع... إن كثيرين في الحلم يبدون لي أهم من زوجي. سألها مقاطعًا مبديًا الهدوء والرزانة: أمازال زوجك في رحلاته التي لا تنتهي؟ أجابت: إنها طبيعة عمله... ماذا نفعل؟ قال: واضح أنك تنتقمين منه في الحلم... بتعجب قالت: أنتقم منه؟ أنا أحبه، أحبه جدًا... وهو يحبني... نعم يحبني... بدت عليها علامات الدهشة الشديدة وهي تقول: الحياة والعمل والالتزامات فرضت علينا هذا... لكن... أنا أحبه... نعم أحبه.

تململ عن جلسته محدقًا في عينيها الباديتين كثقبين مفتوحين على مغارة من الواقع والأوهام ملوحًا بيديه في الهواء معللاً: هذه حالة كثيرًا ما تتكرر... نحن لا نستطيع أن نخدع عقلنا الباطن... ولا نستطيع أن نتحايل على المشاعر والإحاسيس والرغبات المكبوتة بفعل الظروف المزعومة فكل المحاولات تكون ظاهرية، إنها قناع رقيق جدًا شفيف جدًا، يفضح ما نعتقد أنه مستور تحته.

ـ لا... أنا أحبه... إن بيننا عشرة وقربى.

ـ لا تكذبي على نفسك.

انتفضت واقفة جزعة... في هدوء سيطرت على انفعالها... جلست... أمسكت بفنجان القهوة... الفنجان فارغ إلا من الرواسب... أمعنت فيه النظر وكأنها تنظر في قاع جوانيتها.

قالت: دعك من علم النفس وصدقني... صدقني... أنا أحبه... أحبه على الرغم من رحلاته... أنا فعلاً أحبه... شملها بحنان عينيه... غمرها بنظرة ساهمة كأنه يقتحمها... تتمتم: أحبه. أحبه... نعم، نعم أنا أحبه... إنه زوجي... زوجي رغم كل شيء... باغتها بهمس: متى كانت آخر مرة؟

قالت وكأنها لا تشعر والكلام يسيل على شفتيها: منذ سنة ونصف... منذ ٥٥٩ يومًا.

ـ وماذا تفعلين ؟

ـ أنام.

ـ وفي أيام عطلته؟

ـ ينام في حجرته الخاصة.

ـ وماذا تفعلين؟

ـ أحلم.

obeikandl.com

ـ وأولادك؟

ـ فضلوا أن يعيشوا عند أمي ليتحاشوا ما ينشب من مشكلات بيني وأبيهم.

ـ ألم أقل لك إني دارس علم نفس، وإني أستطيع أن أعرف ما يدور بداخلك.

ـ وهل عرفت ما يدور بداخلي؟ بالله عليك لا تتمادى... أنا فعلاً أحبه.

ـ واضح. واضح. وهز رأسه مبتسمًا عن تنهيدة رقيقة حالمة محولاً الكلام إلى غير الموضوع... إن براعة الكوافير والماكيير واضحة عليك.

ـ وهل لفت ذلك انتباهك؟

في تثاقل الثمل ووجه التائه المضيع وطنه حملت حقيبة يدها ومعطفها تستعد للانصراف، فلم يأت أحد من الزملاء... بل لم يأت الكثيرون من الموظفين، فلم تزل السماء تمطر... ما زال البرد يخيم على المدينة، وقد اقترب وقت العمل من الانتهاء. حتى المدير لم يأت.

في السيارة كانت ترتسم خيالات كثيرة وكثيفة على الزجاج تأتي بها ماسحات المطر وتزيلها مع القطرات لتاتي بغيرها... كان احتكاك الماسحات بالزجاج يوحي لها بمشاهد تفتقدها... إنها مازالت تسمع وترى خيالاتها

وترسم أحلام ليلتها... إنها تصر على أن تكون هذه الليلة معوضة لكل الأيام والليالي الفائتة... إن الزوج سيعود من رحلته الليلة وستلتهمه التهامًا.

وصلت إلى منزلها... فتحت الباب في هدوء شديد... دخلت في صمت أشد من الصمت الذي يعم المكان... بعد نصف ساعة خرجت من الحمام تلف نفسها... تفوح منها عطور عبق الجو بشذاها... تتحرك في خفة كأنها فارقت الأربعين إلى العشرين... إنها ترى زوجها في كل مكان... ومن حولها... ومن تحتها... إنها تحلم بكل ما سيحدث في المساء... إنها تنتظر منتصف الليل... يدق جرس الباب... تنتبه... تتعجب... لا أحد يزورها، خصوصًا في هذا الوقت من الظهيرة، وفي هذا الطقس... لابد أنه زوجها... لابد أنه قدم موعد العودة... تفتح الباب متحفزة... إنه هو... إنه دارس علم النفس... مد يده ليصافحها... مدت يدها في صمت يلفهما...

الضحيـــــة

obeikandl.com

obeikandl.com

ـ الروح؟ وهل تستطيع...؟

ـ ولم لا؟ الأمر واضح جدًا. الضغط تدهور... دقات القلب بلغت حدها الأدنى... الدماغ ما عاد قادرًا على التحكم في الأعضاء.

ـ أتعني أنه الموت!

ـ ولم لا!

ـ ما زال أمامنا الكثير لم ننجزه... حاول أن تجد طريقة تعيد النشاط... تخلصه من هذا الكسل.

وقف مشدوهًا، لا يعرف بم يرد، أطرق في تأملات... لا يتأمل الجسد البارد أمامه، وإنما يتأمل هذا الجليد الذي ساد المكان، تطفو على سطحه جذوة من حقد كانت تنطلق من عينيها، وكأنها تريد حمل الزمن إلى ما وراء الليلة... تريد أن تحمله بين يديها وتنطلق به عائدة بعكس عقارب الساعات على الأرض، أو أن تذهب به إلى كوكب آخر فيه بقية للروح التي تنسل مفارقة الجسد النشط والوجه المتدفق بالأمل في الأيام القادمة التي تحمل الكثير من المشروعات، والإنجازات اللامحدودة... حاول أن يستأذن في المغادرة ـ فقد أمضى ثمان وأربعين ساعة بلا نوم إلى جواره ـ لم يتلق منها أي رد... فقط يهدهدها كرسيها الهزاز للوراء والأمام... رأسها

obeikandl.com

ككتلة تقاوم الهزات فلا تسقط على الأرض... عيناها معلقتان بالجسد المتمدد كقضيب مرت عليه كل قطارات الزمن فنحل، ووجهه المحفور فيه الابتسام حتى في لحظة الفراق الطويل .

كرر طلب الإذن... لم يأته الرد... هم باتجاه الباب... سمعها ـ في رباطة جأش ـ تسأل: وماذا لو مات وأنت لست هنا؟ ماذا أفعل؟

ـ لا تخشي هذا الأمر، لن يموت قبل ثمان ساعات تقريبًا.

ـ لماذا تتكلم بهذه الثقة؟

ـ أعتقد أنك تعرفين أن الحالات التي مرت بي كفيلة أن تعرفني متى ينقضي الأمر وينتهي الوقت.

ـ لكنني لا أستطيع أن أبقى وحدي في هذا الترقب.

ـ اتصلي بأبنائه ليكونوا مع

نقلتها العبارة من محيطها الضيق إلى قاع الجحيم... كيف لها أن تتصل بأبنائه؟ أتتصل بمن يشاركونها فيه وهو ميت وقد حاربت كي لا يشاركها فيه أحد وهو حي؟ تذكرت كيف حالت بينه وبين كل شيء، حتى أحلامه بالثروة التي أراد أن يهبها إياها... تذكرت كيف ألحت عليه حتى

استجاب لأن يعين مديرًا لأملاكه... أن يقيل كل الموظفات، والعاملات في شركاته... أن يقاطع العالم كله ليبقى لها وحدها... صرخت في وجهه صرخة مدوية ارتجت لها جدران القصر: لماذا اتخذت هذا القرار وحدك دون أن تراجعني فيه؟ أين ستذهب الآن؟ حتى هذه لم تخبرني بها! ماذا أفعل الآن؟ أجب... لماذا اخترت لي هذا الوقت؟ لماذا خصصتني به وحدي؟ تتركني؟ أهذه هي الوعود؟ وحدي تتركني؟ هل سترتاح بالبعد عني؟ ماذا تقول الآن؟ انطق ولا تتركني أنادي ولا مجيب. ماذا أفعل؟ ها هو يريد أن يذهب... يقول إنه يعرف الساعة التي ستغادر فيها. هل أخبرته ولم تخبرني؟ ومن أخبرت غيره؟ مؤكد أنك أخبرت غيره ولم تخبرني. لا تنكر، لا تحاول... لم تكن تتكلم بقدر ما كانت تتعرق جوانيتها، أو بقدر ما كانت تتنفس الغيظ شهيقًا والألم زفيرًا فاحت منه أرواح أناس أماتتهم وهم أحياء لا لشيء إلا لأنها تريد، كل ما فيها ينتفض... يتزلزل... تطفح كل خلية خنافس تنسدل إلى الأرض فتهرول هرولتها في فرارها من عقرب كانت تأسرها.

التفتت إلى الطبيب الغارق في أمارات الدهشة والهلع... يهز رأسه مستنكرًا ما يجري من حوله، وما يسمع منها... ناظرًا في النافذة المطلة على الفضاء قال لها: لم يكن يحلم إلا بكِ، لم يكن يخفي عنكِ شيئًا، طالما زارني ليعالج من التوترات العصبية نتيجة لشكك، وظنونك حتى كاد أن يصدق

أنه يفعل ما تتوهمين... التفت إليها مشيحًا بيديه في الهواء، محتقن الوجه، كان الضغط على أعصابه قد بلغ منتهاه، حتى كاد يتفصد دمًا وهو يلتقط تلك الخنافس وصوته قد لبس ثوب الآمر بلا ورع: لا تتعجبي هكذا، فقط كان يحب الناس ويحبونه... فقط كان يريد أن يدخلك عالمًا بلا شكوك ولا غيرة ولا أوهام، ولا تعب... هذه الصدمة الأخيرة أنت سببتها بآخر اتهام وهو في حضنك... لا تقولي: هي الغيرة... لا تقولي: الحب... طوال عمرك معه لم تمنحيه الفرصة لأن تكونا كما حلم لكما...

ـ حلم لنا؟ تقصد حلم لنفسه... لمستقبله... لشهرته... لاتساع دائرة معارفه... أنا تركت الدنيا لأجله... ضحيت لأجله... عشت له وحده...

ـ هل قهرك أو أمرك بهذا؟ أو حتى لوح بهذه الرغبة؟

ـ اسكت. أنت لا تعرف شيئًا. ثم ما دخلك أنت؟ أها . نعم. نعم. أخبرك... أخبرك ولم يخبرني... من غيرك أيضًا؟ وماذا تعرف أنت أيضًا؟ طبعًا تعرف صاحباته.

إنها لا تتكلم، بل تطلق رمالاً سامة في ريح عاتية تقتلع كل روح، والطبيب أخذته الرجفة من سكونه بمقدمات الحمى... نقلته في قفزة إلى جوار الساكن الممدد في برزخ بين متلاطمين بالأوجاع... مشيرًا إليه من وراء

ظهره، صارخًا بصوت مكتوم حشر أمامه كل السدود:

ـ ارحمي نفسك وارحميه... إنه يموت.

ـ يموت؟ بل يهرب.

ـ اتصلي بأبنائه.

ـ لن أتصل بأحد. هو لي وحدي.

ـ يموت...

ـ بل يحاول الهروب... ولن يفعل.

رن جرس هاتفها... نظرت فيه... دققت النظر... رقم أحد عيونها في الشركة... فتحت الخط

ـ مصيبة يا هانم. كارثة . المدير باع لنفسه كل الممتلكات بالتوكيل العام الذي معه... أتاها صوت الطبيب في الأذن الأخرى يخرج من الأرض والسماء:

ـ مات

obeikandl.com

obeikandl.com

المصلحون في الأرض

obeikandl.com

obeikandl.com

ـ لست أكثر من مدع متحذلق بكم كلمة تعجنها وتخبزها.

ـ بل أنت الذي لا يعرف ما أقول .

ـ حكاياتك الفارغة لا تختلف عنك أبدًا .

ـ تقصد ما ألبس؟ أرى أن ما ألبس أنظف بكثير من الجثة المخبوءة فيما تلبس... وهذه الغرفة الفخيمة التي أتتك بالتبعية... لو أنك أنت الذي أتى إليها لكنت أول مقدرٍ لك ومحترم.

ـ لا تتجاوز حدودك. ألا تتعظ أبدًا أيها الحقير!

ـ أتعلم أنني لم أدرك أن الحقارة مطاطة، بل حرباوية إلا الآن؟ لم ينادني أحد من تلاميذي إلا بالأستاذ.

ـ أتعلم أنت أنني أعرف جيدًا أن الأستاذية تتفق تمامًا مع المتخصصين في شيء بعينه؟ النصاب أستاذ كبير للذين يتعلمون منه.

ـ لم أتوقع أنك تستطيع التفكير في هذا المضمون من قبل. لكن لماذا أتعجب؟ ألست تلميذ أحد كبار القلم السياسي في العهد البائد؟ أتذكر سنة واحد وخمسين حين جئت فرحًا بأن جنابه يستضيفك في بيته وأنت

obeikandl.com

ما زلت تلميذًا في مدرسة البوليس؟

ـ قلت لك لا تتجاوز حدودك. أنا لم أكن تلميذًا لأحد. هو كان يدرك أن لا أحد يناسب ابنته غيري... كان مقدرًا لذكائي ونبوغي.

ـ أخطأ أبوك يوم سحبك إليه ليتوسط لك.

ـ اخرس... يتوسط؟ لم يكن لهذا المكان غيري أنا.

ـ أتقسم على هذا؟... لماذا تبعد عينيك؟

ـ قف وأنت تكلمني. قف. قف. أنا غلطان والله ، غلطان لأني أعاملك بما يليق بي.

ـ حاضر. الآن أنت تفعل ما يليق بك حقًا، بل أنا اعتقدت حين أجلستني أنك تغيرت وتخالف نهجك الذي كان ربك المعبود.

ـ ربي !!!! وهل تعرفون الله أنتم ؟... ماذا تريدون؟

ـ جيد أنك أدركت أن واجبك ودرجتك ومكانتك تحتم عليك أن تكلمني بصيغة الجمع.

ـ اقعد اقعد.

obeikandl.com

ـ أرجو أن تقدر كل المضاعفات التي في مفاصلي التي ورثتها من عيشة (البادروم). حدد ما تريد أن أكون عليه وكن عند كلمتك لمرة واحدة. إما أن أجلس فأبقى جالسًا، وإما أن أقف فأبقى واقفًا.

ـ اجلس. يجب أن تقدر مكانتي ورتبتي.

ـ سامحني. لم أنتبه للافتة. لواء فايز منصور. وبعد يا سيادة اللواء... فايز منصور؟

ـ هذا ما أريد أن أعرفه منك أنت. وبعد ؟

ـ أسبوع في الإهانة والمهانة، والظلام، والضرب، والجوع، هل تعتقد أن هذا سيغير أي شيء؟ أتعلم أنك بما فعلت أعدت لي ذكريات (البادروم)؟ كانت أيام جد وكفاح.

ـ كفاح؟ وما أدراك أنت بالكفاح؟ الكتب؟ رفضك للاقتصاد الاشتراكي؟

ـ لم أرفضه. كانت تحفظات. لم نكن على استعداد للتعامل به... لم نؤهل للنقلة المصيرية... لم نعد الكوادر التي تتعاقب على الإدارة والتطوير... لماذا ننتزع الفرد من حاله الأولى ونلقي به في نظام تحول إلى شعارات دون أن نرتب له الظروف، ونؤهله نفسيًا إلى أن الثروة كبيرة لكنها معرضة للفناء إذا لم ندرها بما يتفق مع طبيعتنا؟ لماذا لم نؤهل المتعلمين وأهلهم إلى

obeikandl.com

أن مجانية التعليم لا تعني أن نخسر الحرف والتعليم معًا؟

ـ يا نهارك الأسود !!! ألا يعجبك أي نظام بالمرة؟

ـ نظام؟ لا تتلاعب بالألفاظ من فضلك. أنتم شوهتم المصطلحات. خلطتم بين النظام والإدارة. أنتم ميعتم كل الثوابت لترسموا حدودًا جديدة للعلاقات بين الحكم والمحكومين. أنتم ضيعتم الاثنين... أين نظم الحكم بينكم؟ أنتم ضحيتم بكل شيء ليبقى المكان لكم.

ـ تجاوزت بما فيه الكفاية. والآن تسب السلطة؟

ـ إيهٍ. آآآآآآه. السلطة. النظام. الإدارة. هل تعني بالسلطة المكان الذي أنت فيه؟ أم تقصد بالسلطة جماعتك التي تنتمي إليها؟ لا أعتقد أنك تستطيع التفرقة. السلطة يا عزيزي اللواء؛ تحولت إلى فكرية جماعية بعد أن كانت فكرة جمعية.

ـ أنت متهم بالتحريض على قلب النظام.

ـ ها ها ها. أنت متخلف كثيرًا، ألا تدرك أننا ابتعدنا جدًا عن هذا المصطلح؟ بل عن التفكير فيه من باب الابتداء؟ يبدو أن جنابك استرجعت سيرة جناب أستاذك عضو القلم السياسي... بالمناسبة، هل تعلمت الكتابة أم بعد تخطئ في تركيب الحروف في كلمات؟ لا أعرف

كيف أنت هنا الآن والله !

ـ يا وقح... يا ابن الكلب... يا فاشل ... أنا غلطان. مكانك في الزبالة. هناك مع أمثالك.

ـ نار المسيح الدجال؟

ـ يا شيوعي... يا علماني... يا إمبريالي... يا راديكالي... يا ماركسي... يا أصولي...

ـ ها ها ها . كل هذا؟ كيف؟ ها ها ها. اهدأ.

ـ من وراؤك أيها الحقير؟ تريد أن تكون وزيرًا؟

ـ أنا لا أريد. هو أراد أن أكون.

ـ لماذا يا ثعبان؟

ـ ما أعرفه أنه يريد الإصلاح. ثم إنني رفضت الوزارة مرات عدة .

ـ أنتم توعزون له بحالة فساد.

ـ لا. أبدًا أبدًا. ليس هناك أي فساد بالمرة. وليس هناك أي فقر بالمرة، ولا أي جهل أبدًا، ولا فقدان هوية، ولا أي اغتراب.

obeikandl.com

ـ ألم تنبح أنت وأمثالك بالرأسمالية، والانفتاح والحرية، والاقتصاد الحر والخصخصة ومشاريع الشباب؟ ماذا نفعل لكم؟ أليست الديمقراطية حكم الشعب بالشعب؟ احكموا نفسكم يا سيدي. دع المركب سائرة وعش ما تبقى لك في الدنيا بسلام.

ـ هل هذه رشوتك لي؟

ـ أنا لا أقدم رشوة. الرشوة يقدمها الضعفاء للأقوياء. الرشوة اختراع الفقراء، يقدمونها حتى لله.

ـ قف عند حدودك، ولا تتجاوز أيها الجاهل. تتجرأ على الله؟

ـ هل ستقبل الوزارة ؟

ـ هذه المرة . نعم . سأقبلها .

ـ طيب... أنت اخترت. اقرأ هذه.

حادس مأل أفجع كل فأت الشعب. إز لقى الأستاز دكتور شهيد منصور مسرعه نتيجت رعونت سائق سيارة من هاؤلاء الزين لا يقدرون معنى الحرية، ويعوسون في الأرض مفسدين. وإننا لنتقدم بأحر التعازي للواء: فايز منصور شقيق الفقيد.

obeikandl.com

الخط الأبيض

obeikandl.com

obeikandl.com

أمام المرآة... يديم النظر في الشيب اللامع في عارضيه... يدقق جدًا في الخطوط الحادة التي تشعره بأناقته ومطابقة قميصه وبنطاله لما ينبغي أن تكون عليه الأناقة... تلمس مؤكدًا على وجود حافظة النقود في مكانها... ابتسامة تطل من خلال سحب السهر المستقرة في خريف وجهه... رشة العطر اليومية... قبلة عند الباب تمامًا كنصف رغيف الخبز الصباحي مع قطعة الجبن المملح وكوب الشاي المحلى بثلاث ملاعق من السكر.

ـ توكلنا على الله.

ـ في كل خطوة سلامة.

ـ نعم ، سلامة يرافقني في كل خطوة.

من باب البيت العتيق خرج إلى الشارع وقد استقبله الشارع بهيئته وألبسته والوجوه التي تحمل من فوق أجساد لتركب فوق أجساد أخرى، على الرصيف مشيته المعتادة... إنه ماهر في محازاة الحوائط رغم الحفر والمطبات، لا ينظر إلا في عمق المسافة التي يقطعها... ارتطم حذاؤه بحجر ألقاه صبي من نافذة... لم يلتفت ليحدد مصدره بينما حدق في الحذاء.

ـ إنه مصنوع من جلد البقرة التي كان أبي يرعاها... نصيبه منها بعد ذبحها: الرأس والكرشة والجلد، أما الجلد فقد دفع أبي لصاحب المدبغة نصف ما

كان معه ليكون له منه حذاء.

الابتسامة والغيوم ترتسم من جديد في وجهه ومحيط أفكاره وهو يسمع ما يخترق أذنيه من أحاديث الشارع والنداءات من حوله.

ـ الألمان يصنعون سيارات تورث ليس مثل ما يصنعه اليابانيون...

ـ تليفون ست سماعات خارجية و كاميرتين يا باشا... قربي يا آنسة تليفون وجراب ودلاية... صيني... صيني.

عبَر فتحة الشارع الجانبي... ود لو يقفز متخطيًا قاطع الرصيف؛ لكنه سيكون مضطرًا للقفر فوق السيارات... تأكد أن الأتربة المبتلة لم تلحق أي أوساخ ببنطاله... نظر عن يساره... الفيضان انهمر... تدوي أصوات أمواجه، وصافرات المنادين الباصات للتوقف... فيضانان متوازيان في اتجاهين متعاكسين...

ـ كانت هنا لافتة فيها خط مكتوب تحته: خط أبيض متصل... ممنوع التجاوز.

ـ اسمع .(العريس جاي النهار دا بعد المغرب، ميراثي عندك وكفاية غرفة نوم... وأم العريس موافقة أن نعيش معها... حرام عليك عمري تجاوز الثلاثين، تعبت من عيشتي في غرفة عيالك... وتعبت من...)

أشاح بيده... أطرق برأسه... مد يده في جيبه... تحسس حافظة النقود.

ـ أنبهك. إما هذا العريس هذه المرة وإلا (كل الحكاية ورقة واتنين شهود)

على الجانب الآخر من الشارع سيل من البشر لا يقل عن الذين يمشي بينهم، السيارات ما زالت تتداخل.

ـ وفي حديثه صرح أن العلاوات تصرف حسب الإنجازات والإنتاج، وأن الترقيات ستتم حسب الكفاءة وليس حسب الأقدمية.(عندك واحد عناب متلج ينزل الضغط عالصبح)

كان ينظر إلى المنشأة التي بدأت تلوح عبر الطريق الطويل وكأنه يحصي النوافذ وما وراءها من مقاعد، منها المربوط بخيط في رجل المكتب، والمكتوب عليه اسم صاحبه، وكم المستندات، والطلبات، وأصحاب المصالح... حين وصلها كالعادة لا ينظر حوله ولا يتفحص من يلقي عليه التحية، تندفع الأسماء من فمه بفعل الصوت والمكان.

ـ لدي اليوم عمل حساس، وميزانية لابد أن تكون مطابقة للتكاليف والمبالغ المرصودة لها... لا مانع، أنجز أيضًا أعمال تهاني وحازم... الله يعين.

نظر من النافذة إلى الزحام الذي يتزايد وحرارة الظهيرة تمشي أمامه في زهو وهي تقهر الخلق... عاد ينجز ما اتفق مع نفسه على إنجازه من أعماله

وأعمال الكسالى ولم يرتح إلا بإتمامه ودلق ثلاثة من فناجين القهوة في مخه... قام إلى شباك الصرف ليصرف راتبه.

ـ المرتب ناقص سبعين.

ـ خصومات يا أستاذ.

ـ ليه؟

ـ مخالفات وتقصير.

ـ مني؟

ـ أمال من رئيس الحسابات؟

ـ أنا؟ (طيب والشغل الزيادة دا ما يشفعش؟ دا الحسنات يذهبن السيئات.)

ـ (دا عند ربنا يا أستاذ... يا عم هو انت مش من الزمن دا؟ تشتغل كثير تغلط كثير ، الخصومات أكثر.)

تذمر في نفسه... نزل إلى الشارع... نظر في الحذاء... خلعه... حمله على ظهره... بين طوفان السيارات سلك طريقه على الخط الأبيض.

obeikandl.com

كلاب الشوارع

obeikandl.com

obeikandl.com

اعتادت أنفي الرائحة المنبعثة من المجرور الطافح... أمي تقول: لدغ البعوض يكسب الجسم مناعة، والأكل مع الحيوانات يحمي من أمراضها... في كل يوم نخرج إلى الشوارع، لا فرق بين الجحور التي نعيش فيها والشوارع، بل إن أكثر الشوارع التي نمشي فيها أنظف من بيوتنا، هذه البيجاما التي ألبسها ما هي إلا قمامة أعطتني إياها سيدة كانت تحمل كيساً تنوي وضعه في صندوق الزبالة... أخذت منها البيجاما، وانتظرت حتى انصرفت ولقفت الكيس قبل أن تهجم عليه الكلاب... وجدت فيه بقايا فخذ دجاجة نهشوها، وبقايا خبز... ارتكنت إلى جدار... فردت ورقة جريدة كانت في الكيس، وأقمت لنفسي وليمة... مر رجل، نهرني لأني أتسول... وضع في يدي نصف جنيه... قبلته وحمدت الله أنه لم يتهمني بأنني سرقت الطعام من الكلاب... انطلقت إلى إشارة المرور التي لا تنظم سيراً ولا وقوفاً... كانت البنت عفاف تحمل الورد وتلح على راكبي السيارات أن يشتروه، كانت تلبس اليوم ثوباً جديداً ليس فيه غير قطع على مؤخرتها يبدو أن مساراً رشق فيه فقطعه... أخبرتني أنها سرقته من قفة آدم الزبال حين كان منشغلاً بخلود الخدامة في كشك الكلب الكبير في فيلا المهندس محفوظ... قلت لها (يا بختك) غمزت لي وقالت: تريد؟ أخذت من يدها الورد الذي لم تبع منه شيئاً، وتقدمت إلى سيارة... ألححت على من فيها بشراء واحدة... بعد إلحاح شديد قالت السيدة

للرجل: (خذ منه وخله يغور بريحته المقرفة)... بعت بهذه الطريقة عشر وردات بعشرين جنيهًا، حصة عفاف منها جنيهان... قلت لها: نتقاسم؟ قالت لي: أتعطيني نصيبك وتدخل الكشك؟... ما زال النهار في أوله وأريد أن أذهب إلى المعلم (مشمش) يعطيني حصة اليوم من البانجو... المعلم (مشمش) لو تأخرت عليه سيقتلني أو يحرمني من الجنيهين اليومية فتذبحني أمي... قالت لي عفاف: يا عبيط ... خلود في السوق ولا أحد في المنزل الآن وأنا أفضل من الجنيه... طاوعتها وذهبت معها... كان الشق الذي على مؤخرتها مفيداً كما قالت لي، كل ما هنالك أنها نزعت الدبوس منه... فجأة هجمت علينا سيدة... لم تشغلني المصيبة عن شم عطرها... أخرجتنا ماسكة في يدها سكينا كبيرة... كنت منشغلاً بحزم بنطالي حين صفعتني على وجهي... هجمت عليها عفاف مشهرة أظافرها في وجهها، بينما قمت أنا غامراً إياها فتقيأت صارخة: (يا ولاد الكلب يا بهايم ... إنتو طالعين من بلاعة؟) ... جرينا خارجين من البيت وما زالت تتقيأ... هددتني عفاف إما أن أعطيها الجنيه، وإما أن تفضحني بأن المرأة صفعتني فوقعت، معيرة بأني بلغت لكنني ضعيف...

المعلم مشمش أعطاني حصة البيع، وحصتي التي هي عبارة عن ثلاث سجائر محشوة علاوة على الجنيهات... الجنيهات لا تعنيني مثل حصتي، ولو صبرت عفاف لليل لما قالت ما قالت... قابلتها مرة أخرى

لأعطيها البانجو تصرّفه قالت لي: سلمه أنت اليوم، بالأمس أهلكوني ... (شكلهم ولاد ناس لكن في اللي انت عارفه حيوانات) قلت لها: (أنت لا تستحقين النعمة) فأجابتني بسؤالها: ما دينك؟ قلت لها: أنا مسلم، لماذا تسألين؟ قالت: سمعت من أمي أن الكنيسة فيها وليمة، فسألتها: هل أنتِ مسيحية؟ قالت: أمي تقول هذا... وماذا تعرفين عن المسيحية؟ قالت: أعرف الجرس وشيء يقولون عنه قداس... شهقت وسألتني: أنت مسيحي؟ فأجبتها: قلت للكِ: أنا مسلم، فردت علي سؤالي: (تعرف عنه إيه؟) قلت لها: أذان، وصلي على النبي، عليه الصلاة والسلام... وهل تذهب إلى الجامع؟ رددت عليها: (رحت مرة وطردوني، قالوا روح استحم) ضحكت وقالت: بس نلاقي ماء نشربه وبعدين تستحم) ... شعرت بالجوع... اقتربنا من مطعم... كان الرجل الواقف أمام الشواية كلما اقترب منه كلب ألقى له عظمة، أو قطعة دهن، أو أي شيء، ثم ينهره ليبتعد... اقتربنا منه، وقلنا: (حاجة لله يا عم)، بوجه غليظ شتمنا وطردنا وهددنا بالبوليس، علقت عفاف بقولها: كان يعطينا وبعدين يشتم... لكنني جائع جداً، ومؤكد أنها جائعة... أمسكت بيدي قائلة: تذهب معنا إلى الكنيسة؟ قلت لها: سيطردوننا بقرفنا... يا عم جرب، إما أن يعطوننا وإما نخطف ونجري وفي النهاية الجوع لا دين له.

ساد الهرج في الشارع... العساكر والمخبرون في كل مكان... حاولنا الإفلات فلم نستطع... حشروني في شاحنة هواؤها من رائحة البول... كنا عدداً كبيراً جداً منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه، لكن كلنا من الخرابة... قال العسكري الواقف على الباب الضيق متأففاً من روائحنا... لا أعرف لماذا لا يضربونكم بالكيماوي، ونتخلص من قرفكم... كانت شاحنة أخرى جديدة تتحرك مع التي نحن فيها، فناديت على العسكري: ضعونا في هذه يا باشا... ضحك... تفل... قال هذه شاحنة الكلاب الضالة لجمعية الرفق بالحيوان، حين تقدمتنا انتبهت من النافذة الضيقة في جدار الشاحنة لصورة الكلب المدلل المرسومة على مؤخرتها.

obeikandl.com

الحرية في قصر

obeikandl.com

obeikandl.com

اندفعوا بقوة نحوه يريدون عنقه الثمين، دخل لُجة الظُلمة، غاصَ فيها... يعرفُ مسالكَ الحُلكةِ، ومزالقَ الفرارِ، أصرَّ أنْ يصلَ إلى هناكَ... كانوا فرقًا أربعة ، كل فرقة كأنهم زبانيةُ الشيطان... يشهرون هراواتهم ، تسللوا إلى الظلام، يهيمون في مساحاته الشاسعة.

ـ عجيب هذا الأمر.

ـ كيف يختفي في اللاشيء؟!

ـ (ابن جنية .)

ـ(جتتي مش خالصة يا بني آدم .)

وبصفعة مفاجئة ألجمه عن الكلام .

كانت أشباح الظلام أقوى منهم، كانت تخيفهم، تحوم في مخيلاتهم وكأنها في الواقع... تلاقوا في نقطة واحدة على غير مُقدر، إلا أن أحدًا لم يجده... ساد بينهم الهرج والمرج... تبادلوا قلة الأدب التي حفَّظهم كبيرُهم سِفرها القديم، ونقحوه بعهدهم الجديد.

في خفة الريح تسلل إلى السور عند حدود الظلام، لا بصيص ضوءٍ في المكان... من شجرة إلى شجرة مارس كل خبرات القردة حتى وصل إلى أسوار السطح، كان ينظر من هناك، يتفحص... يتأمل... يتيه... يمتدح نفسه... يلعن جنونه، يقسم ألف قسم... يعقد ألف اتفاق... تسلل عبر الدرج ينحدر إلى منطقة كأنها بستان من بساتين الجنة... الجداول تنساب في رقة النسيم عبر أسيجة من الزهر تنعكس ظلالها على صفحة الماء مع خيوط الأضواء البيضاء المنبعثة من قناديل معلقة في أغصان شجيرات مثمرة فاكهةً وقناديل.

مازال يبحث عنها، وقد أقسم أن يجدها، ووعد بأن تكون...، وأن يكون...تجلس عند نافورة إغريقية مرتكزة على قاعدة حجرية نقشت عليها صور إيزيس وأوزوريس، وكان حور ـ على غير العادة ـ ينظر إلى فوق... كانت أفروديت تسكب الماء في طست نقشت فيه أبجديات يحويها رسم حرف (نون)... مازال الماء يسمع همسها (التي جاء باحثًا عنها) لسوارها بحزن يتدفق من عينيها شامخًا دونما ذلٍّ .

لحظة صمت غمرته... نظر في ساعته... أدرك أن الوقت يمر مُسرعًا... جلبة وهدوء يتقاسمان مسرح الحراس العائدين بجثة كلب. ابتسمت... مدت له يدها، احتواها... احتوته... هجم الحراس...

صمتت الجداول ... والقناديل أغمضت أعينها ... انتشروا في المكان .
لا شيء غير الأساور... وجثة الكلب.

obeikandl.com

obeikandl.com

أحذية بيضاء

obeikandl.com

obeikandl.com

اشتر غيره... لا حاجة لي أن أشتري غيره... ماذا سيضيف إلي؟ أنا هكذا متوافق مع نفسي وهيئتي منتظمة... لو أنني اشتريت غيره لأحدث نشازًا، أو أنني سأضطر لتغيير ملابسي لتتوافق مع لمعته الجديدة، ثم إنني اعتدت الحميمية التي نشأت بين التراب وقدميَّ، بات الأمر طبيعيًا لدى كل من يعرفني، ولدى الإسكافي الذي عرف كل الطرق للتعامل معه. إنه فنان بحق، يعرف كيف يكيف ما بيديه مع الحال. صار له عام بأكمله لا يضع قطعة جلد يرتق بها أي خرق فيه؛ لأن هذا معناه أنه سيشد باقي الجلد فيحدث خرقًا جديدًا فيشوه المنظر الكلي له... تعجبت له حين أحضر سكينه الخاص الذي يبهرني حين أراه، فما هو إلا صفيحة مسنونة.

أحضر السكين وقلبه بين يديه مدققًا فيه النظر وأخذ يتحسس أكثر من مكان فيه حتى استقر رأيه عند موضع محدد، ضرب فيه السكين ضربة ماهر... أحدثت خرقًا... بعد هذا الجرم عاد إلى الخرق الأول وشده بالخيط فاتسع ذاك الخرق الذي أحدثه فاتحًا فاه يستغيث من ألم الشد... عاد يخيطه بخيط سميك متين دون أن يلئم الخرق، تاركًا شفرتيه متباعدتين... طلب إلي أن ألبسه فلبست... شعرت بانتعاش وكأن المنطقة التي بها الشباك الجديد أعلنت لقدمي الآن أنها مميزة جدًا لأنها

تطل على العالم بعد أن كانت حبيسة الحر والعرق... حاولت أن أخفي ابتسامتي للمنظر الجميل الذي أراه، والشعور الاستثنائي الذي انتابني، فالإسكافي شره، طماع، شأنه شأن أي صاحب صنعة إذا رأى السعادة بادية في وجه الزبون رفع عليه السعر... لكن ماذا فعل هو ليرفع علي السعر؟ أنا أتيته به وهو يعرفه منذ أكثر من أربعة أعوام، هو زائر دائم التردد عليه ثم إنه كان مخروقًا، وهو خرقه خرقًا إضافيًا، إنه سبب تلفًا. أفكر في ألا أدفع له، لأنه خرق خرقًا وأصلحه، ولم يكن إصلاحًا محكمًا، بل ترك الخرق قائمًا، وهذا لا يليق بإسكافي ماهر يتقن صنعته. لو طلب مني أجرًا لا يرضيني سأرفع صوتي بحجتي فإما أن يتراجع عن قراره وإما التم الناس عليه، فأشهدهم على ما فعل، وحينها قد أطلب تعويضًا أيضًا... نعم. إنها فكرة رائعة. أجعل من الموقف مشاجرة لأطلب التعويض، لكن ماذا لو أن الأمر انتهى عند المصالحة؟ في هذه الحالة أكون قد خسرت الإسكافي، وأكون مضطرًا إلى الذهاب إلى غيره وأبدأ رحلة جديدة مع من لا أعرف... ويح عقلي! أنا لست طرفًا في هذا الأمر، لكنه هو الذي سيتضرر لأن غريبًا سيحاول معه ما قد يؤذيه، وقد يلح علي الآخر بأن أستبدله لأنه ما عاد يصلح فهذه موضة هذه الأيام (لا يصلح. بدِّل)

انتبه على صوت الإسكافي الناظر إلى قدميه: أتعلم أن له قدرة على التحمل لا تتوفر لأصناف جديدة؟ صنعته محكمة، وجلده طبيعي، بقري

أصلي، يكفيك أن (النعل) تحمل لهذه المدة ولم تأكل منه الأرض شيئًا، الأرض أكلت الناس ولم تأكل نعله... نظر إليه قائلاً (صل عالنبي يا عم . هي ناقصة حسد !)

ـ (لا حسد ولا قر. اقصد كريم يا سيدي)

أسعدته العبارة جدًا، فهذا يعني أن الإسكافي لا يريد الأجر... هز كتفيه ثم غمر الإسكافي بعبارات الثناء والشكر والامتنان، وفوق هذا بالدعوات بالستر وسعة الرزق، وأن يجعله الله سندًا للمحتاجين... في هذه الغمرة فوجئ به يقول: فقط خمسة جنيهات، لأجل العِشرة وهذه الدعوات... أسقط في يده حين سمع المبلغ المطلوب، وكاد وجهه الغليظ يشقق عن صدع غائر... تحولت الدعوات إلى لعنات بلا توقف وكأن كل الأبالسة اجتمعت تصب آيات الجحيم في لسانه وعينيه... هم به الإسكافي لولا أن الناس اجتمعوا عليهما يحاولون فك الاشتباك... الأيدي تمسك منهما ما تطال، كان يقاوم الناس بكل ما أوتي من قوة وقد نسي أمر الإسكافي فالأمر تحول إلى ما هو أكبر... أصابع أحدهم لو تمكنت من القميص الرمادي ستحدث كارثة لا يمكن تدارك عواقبها... كان كأنه المضارب موجًا متلاطمًا أو كالبناء الذي سينقض، والإسكافي ينادي بالأجر.

نزلت زوجته وخمسة أبناء... حاول أكبرهم بكل الجهد أن يصل إلى أبيه بينما أمه تصرخ مسترحمة الناس بالفقر والعيال، فانقلب عليها الإسكافي سبًا ولعنًا... تبادله السباب بالأقذع منه... وصل الولد إلى أبيه بين حابل ونابل اختلطا محاولاً أن يسحبه من بين الجمع، وبكل ما أوتي من حب وغيظ سحبه من قميصه الذي انفجر بأنين مكتوم كاشفًا عن حزام عريض يشد به وسطه... وجد الابن فرصة سانحة ليجذب أباه من الرباط الوثيق... تشبث الأب بالحزام صارخًا: سأدفع... سأدفع... سأدفع... بين الهرج والمرج لم يسمع أحد صوته... حاول أن يتملص من الجميع ناسيًا أمر القميص... دفع ابنه بكل قوة كأنه عدو مبين... دفعه أحد الرجال بقوة... وقع مرتطمًا بسندان الإسكافي... سال الدم... حوقل الناس سابين الفلوس ولاعنيها... حمله جماعة منهم تتقدمهم زوجته إلى الغرفة التي يعيشون فيها على سطح بيت متهالك... كان يتأوه والدم يسيل... كان يهذي من شدة الضربة... أخذت زوجته تضمد الجرح باكية لاعنة الفقر والظروف ومواسية رجلها... بينما يخفف الابن الأكبر من ملابسه... بين بكاء إخوته فك حزام الوسط... ابتسمت الدنيا وحلم الأبناء بأحذية بيضاء.

بطعم الحياة

obeikandl.com

obeikandl.com

أهكذا؟

بدون مقدمات؟

هل أنت متأكد أن هذا قرارك الأخير؟

لماذا كل هذا؟ ألأنني قررت ما لم تستطع اتخاذ قرار فيه؟

أنت دائمًا لا تستطيع اتخاذ قراراتك بسهولة... أنت دائمًا تتأخر في كل شيء.

لماذا تقرر دائمًا أن نتأخر عن الناس أجمعين؟ أنت دائمًا لا تقدرنا ولا تقدر ما ينبغي أن نكون عليه؛ لأنك تفضلهم دائمًا علينا... أنت لا تعرف ما لك... لماذا تعرف دائمًا ماعليك؟

أيرضيك ما أنت فيه؟

أنا لا أطيق كل هذا... أنا لا أعرف لماذا تريد لنا أن نبقى في المؤخرة!

الابتسامة لم تكن تفارق شفتيه... ترتسم بهدوء وثقة بينما هي على هذه الحالة في كل أمسية تجمعهما متوقعًا أنها ستكون أمسية جديدة... أمسية رائعة على أضواء الشموع.

أضواء الشموع تخبو في عينيه ليضيء فيهما شيء آخر... حقائق كثيرة كانت تتناوب مخيلته واستحضارات عدة تحدث... المرأة عدو الفن... الفنان حالة من الجنون لا ينبغي أن يكون لها شريك... العقل الباطن عالم العوالم الكبرى التي لا حدود لها... الابتسامة تتصاعد على وجهه كأنها تصعد قمة برج لا أحد يستطيع بلوغ قمته.

المرأة. المرأة.

بدأ القهقهة لأنه في هذه اللحظة...

الدنيا عدد من المتلازمات التي تتأتى دون قصد، والإنسان فيها عابر سبيل، فلماذا يتوقف أمام العديد من الأشياء؟! الإنسان حالة من النسيان المحتوم لأنه فكرة في عقل الوجود الممتد بلا أبد وهو الأبد.

الإنسان.

امرأة في الأصل؟ رجل في الأصل؟ حالة من التناقض المفضي إلى مزيج بلا لون ولا طعم ولا رائحة، يتشكل من عرق وريق ونظرات عيون ليتحول إلى ألوان وطعوم تتباين في اللحظة الواحدة تباين الخريف.

ـ أنت لا تعرف أي شيء إلا أنك لا شيء .

ابتسامته مستمرة لا تنقطع لأنه يركن رأسه على ماض وآت بينهما هذا الحاضر الجامع بين الإتيان والذهاب.

انتفض... وقف... تلفت حوله... الشيب والقهر وفكرة الماضي الذي لا يعود، والآتي الذي يحمل مرآة لا تريه غير ظهره.

ـ أنت دائمًا هكذا لا ترانا ولا ترى غير ظهرك.

ابتسم . أطرق في صمت... يرتشف ما بقي في فنجان عمره الذي لا يبدأ إلا لينتهي بطعم الحياة.

obeikandl.com

obeikandl.com

هذيان كل يوم

obeikandl.com

obeikandl.com

بين الأشجار المتكاثفة الأغصان وعلى الحشائش المتعطشة كان مجلسهما حيث يسترقان من الزمن هنيهة يهدهد القلبان بعضهما بعيدا عن المدينة التي يلتهم زحامها المشاعر حين تتشعب الطرق المزدحمة بالمشاة الذين ربما لا تهتدي خطواتهم إلى أهدافها، وتلك البنايات التي تحوي في جنباتها الآلام ولا تبوح شرفاتها إلا بالأقنعة المخفية وراءها أسرار الحياة الصعبة في الأحياء البائسة التي هي بذاتها تحلم أن تسير كالجبال يوم القيامة لتزور تلك الأحياء التي فاح عبقها ورقصها وموسيقاها وطربها بشجنه ومجونه... حتى البنايات تطمع في تلمس الانفلات من حالها.

تحت أعطاف الخميلة مالا بعطفيهما... احتضنت راحتاه يدها التي أوت إلى فراشها الوثير واستراحت من عناءات الأيام التي عانقتها الريح وأدوات الطبخ والتنظيف، وكأنها بين كفيه تستشفي من أدوائها، وتستجم على بحيرة زهرية تهفو على ضفافها فراشات ألوانها ضيائية الملامح، ترقب تلك اليد وقد تمددت ملقية كل خلاياها تستحم بومضات الشوق المنبعث من قُبة اليد العليا إلى فضاءات اليد السفلى وبينهما هذه الورقاء التي انتبهت الى أنها هنا شاكية مما هدد العالم أنه ذابحها لا محالة، فقد طلبها الصياد وصوب وهو الآن يسدد البارود طالبا هذه اليد التي ترى أنها ملك لحاضنها.

ارتعدت في راحتيه ارتعادة المحموم الذي كان قد غفا هروبا من الجحيم المتقد في خلاياه... رفعت يدها الأخرى التي كانت قد عبثت بالحشائش ما عبثت، واقتلعت منها ما اقتلعت وأطبقتها على يده، وكأن العشق كله انحدر إلى الأيدي... مال وكأنه النسيم مقبلا يدها كأنه يتنفس آخر الانفاس... رفع رأسه لتلتقي العيون تحمل التحدي المقاوم لكل الانكسارات... غاصت كل عين بعين تحتضنها حينا، وتفتش في حناياها عن عالم غير العالم وقانون بلا صياد ولا مقصلة صنعت من الفقر والقهر والحرمان تقص رقاب الآمال.

تبادلا الآراء في صمت الشفاه ونطق العيون... توترت اللحاظ كلما حف الحفيف، أو تهامست الأشجار، لم يدركا أن الأشجار أحياء ترقب وتمدح وتهجو... رفعا رأسيهما حين هوت وريقات من غصن مال يسترق السمع، أو أنه أراد أن يكون بينهما في لحظة البوح، أو أن الشجرة أرادت أن تضربهما لما بدا من ضعف وانهيار... ودا لو أن الجزع ينفتح ليهربا داخله ليبدأ التاريخ من جديد... ضمها وضمته في اتحادية التوحد... وقفا... تجردا من ثيابهما... مازالت العيون تحكي أسرارها... تجردا... بديا عاريين ... تعريا وتعريا وتعريا ... من الثياب ... من الغبار وأتربة الشوارع التي حملت رائحة العرق المتساقط عليها من أجساد الكادحين وخلت من بقايا

الطعام الذي لم يكن يتبقى منه شيء... من المقصلة... من الزحام... من الهواجس والظنون... تعريا... إلا من عفة هي ما أبقت لهما السنون.

تذكرت أن جيب أبيها لا يختلف عن جيبه أو جيب أبيه، فالزوار ممنوعون من الإقامة فيه، وتذكر أن طبخ أمها لا يختلف عن طبخ أمه، وتذكرا كم فرقهما الزحام... كم وأدت المشكلات أحلامهما... تذكرا ألف مقصلة... الأسوار... أسوار نارية، وأسوار وردية، وتذكرا... قرارا أن يتحولا إلى بذرتين؛ فالبذور تتحول أزهارا، الأزهار تتلاقح ما شاءت، تهمس ما شاءت، أشواكها تحميها... تحنو ما شاءت... تصبح أشجارًا تتعانق في فضاء الغابة وبين نسائمها، ودفئها ورعودها.

انحنيا ... ركعا ... استقبلتهما الأرض... تضاءلا... تحولا... ارتجفا لرطوبة الأرض... هبط غرابان أسحمان... حمل كل منهما بذرة في منقاره... صرخا... تضاحك الغرابان... طار كل منهما إلى حيث طار.

obeikandl.com

الأرشيف

obeikandl.com

obeikandl.com

هي قصة حب جميلة لا أكثر.

أتدرك معنى هذا الكلام ؟!

من الطبيعي أن تكون هكذا لأنها لا تحاكي أية قصة ولا أية حالة ما قرأنا أو سمعنا أو ورد في الأساطير .

أتقصد أننا لابد أن ننتهي عند هذا المنعطف؟!

(١)

كان اللقاء الأول حالة نادرة؛ فالزمن لم يعرف أية قيود حين التقيا، كانت تتأمل ساعتها وتتمعن الوقت ترشف منه قطراته المرة التي دونها الصبر، والتعلل لا ينتهي لأن عقلها يعمل في اتجاه لا يوازي قلبها في كل الأوقات... الطقس حار جدًا، دقات الساعة تسابق دقات القلب المتطلع لموعد يراه العقل نقلة لا موضوعية لأن الفكرة في حد ذاتها كانت مرفوضة تمامًا .

سرعته في المشي كانت ملفتة للانتباه وكأنه يسرع ليلحق بالقطار... قطار الزمن لا يوقفه أحد... يستقله العمر لا يريد أن ينزل منه ليستريح بين جنبات الصدور المتطلعة للمع النوم البارق يأتي بالراحة وراحة النوم ليست إلا مرحلة انتقالية بين الإسراع والإبطاء الذي نحيا به الحياة التي

obeikandl.com

نعتقدها طبيعية حين نشعر بالسعادة... كل هذه الأقوال كانت تجري إلى جواره... يسابقها وتسابقه... يتوقف فجأة... ليست المفاجأة التي أوقفته... ليس تذكر شيء نسيه ما أوقفه... ليس رؤية أحد ما أوقفه... لكنه توقف.

الشمس تقترب من الأرض... أسوار الجامعة ليست مطابقة لأسوار الحجز، لأسوار المعتقل. الشمس هناك مختلفة تمامًا، إنها مصنوعة من نفس المادة التي صنع منها تعادل المواد التي صنع منها قانون الاعتقال الذي وضعه بين أسوارها نهارًا وبين أسوار الغرفة الضيقة ليلاً، وبين أسوار الأفكار التي تحتله داخل سور... داخل سور... داخل سور... من سور إلى سور يتنقل في مساحات ضيقة جدًا لا تسع أنفاسه التي ترتجع ارتجاع العربة التي تحاول بمن فيها ارتقاء جبل ارتفاعه يعادل انحداره في عمق الأرض المنصهر.

(٢)

تتأمل ساعتها من جديد... لماذا تأخر كل هذا؟!

مرض؟

نسي؟

انشغل؟

لابد بالتأكيد أنه انشغل بما أتوقع أن ينشغل به، وما أتوقعه لا يجانب الصواب أبدًا.

تنتحي ناحية لتكتب رسالة في جوالها ضمن مجموعة المحفوظ من الرسائل في أرشيفها... تختبر هاتفه.

(الهاتف الذي طلبته ربما يكون مغلقًا)

تهز رأسها هزة اعتادتها كلما توقعت.

(٣)

بين ركام ذكرياته... كان غرقه في أفكاره... يتأمل الطريق، بل الشمس والطريق... يتأمل معصميه، وينحني متطلعًا مدققًا النظر في ركبتيه.

س: لماذا وجدوك تمشي في هذا الشارع ؟

ـ الناس كلها تمشي.

س: منذ متى لم تمش فيه؟

ـ أنت تعرف.

obeikandl.com

ـ أما زلت وقحًا كما أخبروني؟

ـ للأخلاق مقاييس ربما تختلف بيننا وبينكم.

س : ماذا تريد؟

ـ أنتظر جوابك أنت.

ـ نعم؟ أنا الذي أجيب؟

ـ بالطبع لأنك الأعلم لماذا أنا هنا.

س: لماذا مررت من هنا وأنت تعرف أنك ممنوع من المرور؟

ـ مرت سنون.

س: هل أنت مستعد لإمضاء ما بقي من عمرك في ضيافتنا؟

لم تعد تقيم في هذا الشارع... ذهبت .

ـ وذهبت أنا بعيدًا. ليتك تخبرني أين هي الآن!

ـ ألم أقل: إنك لن تتغير؟

ـ ولماذا أتغير؟

obeikandl.com

ـ لمصلحتك.

ـ المصالح كلها تخضع لكم.

وجوم يجمع بينهما يطوقهما بطوقه الهلامي اللزج... رائحة العفن تعم المكان... الكلب مازال ينبح... يحاول الإفلات من الطوق الحديدي... هم برائحة عرقهم الجاف ووجوههم الكالحة التي لا تعبر عن حب أو كره... لا أفواه لهم... هم فقط آذان لا تسمع غير الأمر لينفذوه... الأوامر كلها تصدر بوقاحة... يتغذون على الوقاحة... ترى حين يعودون إلى بيوتهم يغسلون هذا مع الاستحمام؟!

(٤)

رسالة أخرى تدونها في أرشيفها حين قررت أن تقهر عقلها قليلاً وتجلس في المكان الذي تقرر أن يجمعهما.

ـ أنت موقوف من الآن وفق ما تقرر في إقرارك الذي كتبته.

ـ كتبته؟

ـ وقعت عليه.

ـ وقعت عليه ؟!

ـ ماذا معك؟

ـ معي... أقصد... ماذا تريد؟

ـ ما معك.

ـ لا شيء.

قام عن مقعده... نفض عنه سترته ومد يده في جيبه، أخرج من جيب علبة، ومن الآخر جواله.

ـ لحظة من فضلك.

انتزع من يده الجوال... تنازعاه في عنف شديد... لم يفلته له... بالكاد وصل إلى صفحة الأرشيف... حدد كل الرسائل... استدعى رقمًا... أرسل الكل دفعة واحدة.

(٥)

ابتسامة ترتسم على وجهها... دمعة تترقرق... الرسائل بعدد الأيام؟ الساعات؟ الثواني؟ النبض؟

رسالة تأتي وحيدة... نذهب إلى حيث كنا.

المعبر

obeikandl.com

obeikandl.com

فتح أوراق نقله إلى نقطة حراسة المعبر... رفح مدينة بعيدة لكنها من أرض مصر... يقلب الأوراق... يقلب تفكيره... يقلب ذكرياته حين كان طالباً في الثانوية العامة وحلمه أن يكون ضابطاً في الجيش المصري... لم يكن يريد أن يكون ضابطاً عادياً، وإنما هو الضابط الملتزم المؤدي واجباته تجاه أهله وبلده... مازال يذكر رفع العلم على طابا المصرية، ويذكر الحكايات عن صلاح الدين وقطز، وحكايات كثيرة عن الشطار والحرافيش، ضبح خيول رمسيس الجارة لعجلاته الحربية يدوي في الفراغ من حوله... أمن حوله أم فيه؟

طلب من المجند أن يعد له كوباً من الشاي فالليلة باردة، والصحراء التي بداخله تصفر فيها الريح... يتذكر حكايات أبيه عن المعاناة في الجيش ونفوره من أن هذه الأجيال والأجيال القادمة تعيش في نعمة وارتخاء... الجيش اليوم ليس كمثل جيش سنة ٧٣... نظر من شباك غرفته إلى الهدوء من حوله وأصوات الطائرات والمدافع ومشاهد العبور في الأفلام تتجسد له... يضحك في نفسه كلما تذكر الأسلحة في أفلام الحرب، واستغلال جهل المواطن العربي بأنواع السلاح وطرزه وطبيعة المعارك الحقيقية... يسخر من كل ما عرف وتعلم لأن لا أحد في الجيش اعترض على ما يعرض في الأفلام... محاضرات الإعلام الحربي لم تغفل التنويه

إلى أن الشعوب القوية مثل الشعوب الضعيفة، تحتاج إلى مسكنات ومخدرات، الملهيات ضرورية لكل نظام، ولكل استقرار، الجيش أهم أركان النظام... في فيلم (دكان شحاتة)، طلب الأب من شحاتة أن يضع صورة عبد الناصر على الجدار الكبير، لعلها تواري بعض سوءته بفعل الشرخ الطويل... السنون تحدث الشروخ بفعل من يعيشونها... الشروخ تحتاج لوقت لتتسع أو تحدث فجأة بفعل الهزات... علل لأفكاره بأن كل بناء يحتاج إلى زمن ليستقر في مكانه وعلى حاله قبل أن يطلى ويزخرف... النقوش على جدران المعابد لم تزل إلى الآن والقواعد ترمم بالطلاء ولا تعالج أساساتها... المسكنات تدر أرباحاً على متاجر الأدوية، لكن مستحضرات التجميل أكثر انتشاراً خصوصاً الرخيص منها... في إسرائيل تصدعات قاتلة وأصوات عالية، وجيش متطور، وعلم متقدم، وقضية وجود... على الجانب الآخر من المعبر قتلى، وجرحى، وجياع وبنادق تدوي طلقاتها في الأعراس والاحتفالات، وحجارة يرشق بها العدو...

ارتشف من شايه سامعاً صوت طه حسين في زيارته لافتتاح الجامعة العبرية: إنهم شعب يستحق أن يكون له وطن... نفخ من فمه دخان سيجارة قائلاً: وهل كل ما ينشر في الإنترنت حقيقي؟ صور المطارات الحربية العربية مشاع للجميع، منصات الصواريخ مرصودة في كل مكان... كان أبوه يقص عليه المعاناة في كتيبة الدفاع الجوي ووسائل

التشويش البدائية كي لا ترصد مواقعهم... قضى أبوه خمسة أعوام من مطلع شبابه جندياً... عمه الأكبر حارب في اليمن... تذكر ابن عمه الذي ابتلعته عاصفة الصحراء... فوجيء بصدام حسين جالساً معه يتزعم المقاطعة... أخذوه من أمامه أضحية في يوم عيد... المشنقة المدلاة أفلتت رقبة صدام وجمعت عنق العراق الكبير... إسرائيل عقدت اتفاقيات تسليح وإنتاج نووي طويلة الأمد... التقارير تؤكد أن دور مصر السياسي يتراجع وإيمانها بالقضايا العربية يضمحل، بل تلاشى... هل سيستقل أقليم كوردفان بعد تقسيم السودان؟ أدخل يده في جيبه هازاً رأسه مبتسماً، في عيد العمال سنسمع العبارة الشهيرة: أنتم تتزايدون، والموارد قليلة (أجيب لكم منين؟!)... جيشنا العظيم يحمي حدودنا من المتربصين ويستنفذ أغلب ميزانية الدولة... دخل عليه جندي... قدم التحية... أبلغه بتمام المناوبة للخدمة... أومأ له بالموافقة، فانصرف. سأل نفسه هل يمكن أن تتشكل منا كتائب لحماية ماء النيل؟ من المنتفع من هدر ماء النيل؟ وهدر الشباب؟ وهدر العقول؟ وهدر المنظمات العربية؟ استرخى في سريره وفي رأسه طاولة كبيرة عليها: نشجب وندين... طاولة أخرى خلفها صوت مبحوح بعبارة: الفرق بيننا وبين رجال الأعمال هو أننا كنا نرعى البقرة لنحلبها، أما هم فذبحوا البقرة... غطى وجهه بجريدة فيها جدول مليارات وممتلكات المسؤولين المقبوض عليهم والهاربين... نام...

انتفض من نومه صارخاً يحمل سلاحه: الجيش من الشعب... العدو في الداخل... القنبلة في كل بيت.

obeikandl.com

ثورة البيوض

obeikandl.com

obeikandl.com

باضت بضع بيوض خلال أيام متباعدة... أتينا بعدد ليس قليلاً من بيض دجاجات أخر عرضه علينا الجيران، مؤكدين لزوجتي أنه من سلالات ممتازة، تكبر بسرعة وتربي لحمًا، وتغدق بيضاً وفيرًا يطعم العيال بعضه وبعضه يفقس عن جيل جديد من الفراخ... اقتنعت المرأة التي تتمنى أن يكثر دجاجها، وأن يأتي مولودها الذي نتمناه...

منذ ثلاثة أيام والدجاجة تتحرق على بيضها، وامرأتي تتحرق شوقًا، فالذي في بطنها يتحرك باتجاه الخروج، وأنا أتحرق شوقاً لأن أعود إلى عملي إذ وعدني المدير بسلفة... منذ ثلاثين يوماً قدمت الطلب، ورد على المدير بالرفض، ونهرني قائلاً: هذا ما عندي، ولا سلطان علي، وافعل ما تؤمر أو قدم استقالتك، لكن سقوط النظام منذ أيام غير الكثير، فارتسمت الأحلام على وجوه الفقراء، وشقت الأحزان أخاديدها في وجوه العائذين بالسلطان...

حماتي تجلس إلى جوار زوجتي ترقب حمو الطلق بين تأوهة وأخرى، وزوجتي توصيني أن أراقب البيوض تحت الدجاجة مشددًا حراستها، فلعل هائمة متربصة لخروج الفراخ... حماتي تمازح زوجتي بأن أباها لم يأت معها لأن جارهم سيأتي بثورهم ليعشر الجاموسة عشارها الأول..

أي فجر هذا الذي يقبل حاملاً كل ما ننتظر؟! إنه فجر ثائر، يريد أن يغير وجوه كل النهارات الآتية...

أشعر أنني سأقضي يومًا مزدحمًا بالمناسبات والأفراح، بل لا أعرف كيف سأرتب وقتي... لابد أن أكيف وقت اليوم بما يتناسب والتزاماتي فيه، وعلى رأس قائمتي أن أذهب إلى عملي - هذا بالطبع إذا لم تضطرنا حالة زوجتي لأن نذهب بها إلى مستشفى - حماتي مصرة ألا أذهب بها إلى مستشفى فشوارع المدينة مزدحمة، وهي مستعدة أن تتكفل بكل مصاريف ولادة ابنتها في البيت، واتفقت مع الطبيب أن يأتي إلى بيتنا فور الاتصال به... لا بأس؛ سأجاملها في مناسبة قادمة حين أحصل على ترقيتي، فلا بد أن الدور حان أوانه بتغير النظام، ولا بد أن الذي أخذ دوري بالرشوة والمحسوبية سيطرد ويعاقب... ويطرد من ساعده، ولكن من أين يطرد وهو فار؟ لا بد أنه مختبيء في مزرعتة، لا أظن أنه يرقب دجاجة ترقد على البيض لأنه يأكل الدجاج المستورد، ولا ينتظر بهيمة تعشر لأنه يشتري العجول المحلية ويسمنها للذبح لا للحلب... حماتي وقفت ما يزيد من لبن على العجل الذي ستحمل به الجاموسة لابني القادم... سيكون معيناً لها ومفيداً إذا قل لبن زوجتي بعد عشرة أشهر...

الدجاجة لا تزال راقدة على بيوضها... مددت يدي تحتها برفق...

أحس أن البيض على وشك التشقق... كانت زوجتي على حق في إلحاحها أن أحرس الدجاجة والبيض، فكلب الجيران الذي يسكن سطح البيت الملاصق لنا قطع حبله مرة أخرى، إنهم مصرون ألا يستبدلوا هذا الحبل بسلسلة من حديد... أنا لا أطيق الكلاب السود، وقد سبق وقفز هذا الكلب على الحظيرة الخشبية القديمة ودمرها وقتل الأرانب... إنه يقتل ولا يأكل، فقط يخرب... اتهمتني زوجتي بالجبن لأنني لم أتعارك مع جارنا لأنه (صول) في الداخلية وهذا كلبه... ناديت عليه بصوت مرتفع غاضب... في صوتي شجاعة هذه الليلة، ردت علي زوجته مستجيبة لطلبي... صعدت إلى السطح في وداعة تحمل (قايش) حضرة الصول الذي كان يشد به وسطه... شب لها الكلب لاحسًا وجهها... حزمت عنقه بالقايش من طرفه المعدني، وربطت الطرف الآخر في الحبل المشدود إلى الحلقة الحديدية المثبتة في السور... طيبت خاطري قائلة: كلنا أهل، وكل وقت وله أذان... انصرفت تتحسس الطريق والسلم كعمياء فقدت بصرها لتوها... قلبت كفي وصوت زوجها الأجش يطن في أذني، يرن فيه رنين النحاس وسلاسل أمن الدولة... رغم أنه لم يكن يعمل في جهاز أمن الدولة، كان يلوح به كثيرًا كلما أراد تخويفًا أو أراد تهدئة عراك بين جماعة... كان كل بائع أو سائق يراعي منصبه ويقدم له فروض الطاعة والولاء ويقدمونه حتى على وكيل وزارة التربية والتعليم الذي يسكن معي

في نفس البيت في الطابق الأول... إنها منكسرة لأن زوجها منذ أيام محتجب في بيته لا يخرج حتى إلى الشرفة، وتكفلت هي بالخروج لقضاء حاجات البيت وسط تهكمات وشتائم مقذعة.

أسترجع المشاهد التي كانت تبث في التلفاز للقتل والدهس فلا أستطيع أن أحملها كلها لجهة واحدة... زوجتي ما زالت بين تقطعات الألم، وقد بدأ القلق يدب في نفسي دبيبه، كان من المفترض أن تلد منذ ثلاثة أيام... أمها تتحسس بطنها وتطمئنني بأن الجنين بخير وكثيراً ما تخطيء حسابات الأطباء، وكله علم غيب... نعم كله علم غيب حتى ما نراه حقيقة في ظاهره ينطوي على غيب لا نعلمه... اتصلت حماتي بالطبيب وهي متحرجة، فالفجر قد أوشك نوره على البزوغ... أنهت اتصالها معه بينما بدأ صوت زوجتي يرتفع بالصراخ والتوجع المتداخلان مع صوت أمها المصبرة إياها... صوت الديكة ارتفع بنداءات الفجر... أي نداءات فجر وقد أذن المؤذن منذ أكثر من ساعة؟!

مع بصيص النهار طرق الطبيب بابنا... استقبلته آتيًا من السطح مهرولاً وكنت أتصبر بمتابعة الدجاجة وبيضها مع لون الصبح الملبد بغيوم فبراير... فتحت له الباب فإذا بحماتي كانت تهم بفتحه... استقبلته بوجه مخضب بابتسامة وقلق... سألها كيف الأحوال بصوت مرهق جدًا فأجابته

بصوت يقاوم الانهزام: الماء لم ينزل بعد، معقبة: كأنك لم تنم يا ابني... أجابها مع ابتسامة مرتابة: ليلة عجيبة، قضيت أغلبها في أحد البيوت القريبة منكم... عروس ليلة زفافها أصيبت بمغص شديد فاستدعوني... فحصتها فوجدت أن زوجها كان يحاول الدخول بها فاعتقدت أنه آذاها خصوصًا وأنه أسر لي بأنها استعصت عليه فجأة وكانت في أول الليل طائعة متشوقة، لكن فجأة دب المغص في بطنها...فحصتها فحصًا خارجيًا، و أعطيتها بعض الأدوية والمسكنات، وسأمر بهم مرة أخرى فالأعراض كلها توحي باحتقان في المبيض... غمغمت حماتي: يا فضيحة زوجها، ماذا سيقول الناس والطبيب خارج من بيته صبيحة ليلة زفافه...

كنت أنا في شغل شاغل بطبيب يخرج من بيت مفشيًا سرًا خطيرًا كهذا؟ بيني وبين نفسي قلت: إنه قريب حماتي وربما قال هذا من باب ثقته أن حماتي ليست من النسوة اللائي يسعين بالنمائم... دخلت معهما إلى زوجتي وعيناها متألمتان، لكنهما لم تنسيا سؤالي عن الدجاجة... هززت لها رأسي مطمئنًا... كان الطبيب وحماتي قد جهزاها للفحص، وقرر الطبيب أن يحقنها بمنشط للطلق... خرج معي إلى الصالة الضيقة وقد أعدت حماتي الفطور والشاي... رفعت صوت التلفاز ليمازج صوته صوت زوجتي، مع علمي أني بهذا أزعج الجيران، ومع هذا فعزائي أنهم يعرفون أننا في حالة وضع ... حلقة من برنامج من ضمن برامج الزعيق والجدل الفارغ،

لكن مقدم البرنامج متمرس في إشعال الخناق بالمتناقضات التي يطرحها، وضيوفه خليط من شباب منهم المهذب ومنهم قليل الأدب، ورجال كنت تحسبهم أهل دين، وفتيات حاسرات، وفتيات ذوات أغطية، وأصوات من الهاتف، رن هاتف حماتي... فتحت الخط... اتسعت عيناها... شهقت شهقة ذات معنى... ضربت على صدرها متبسمة بسخرية، تضع يدها على فمها قائلة: الحاج كان يطمئن، وأبلغني أن الجاموسة نافرة والثور عاطل...

صراخ زوجتي يرتفع متداخلاً مع صوت التلفاز... دخلت عليها... أحضرت حماتي الماء الساخن... الماء تسرب... بدأ الطبيب عمله... صوت التلفاز يقذف بعباراته... صار صياح الديكة محموماً... الطبيب يحاول... الجنين متشبث بأحشاء زوجتي التي لأول مرة تصرخ في وجهي حين مددت رأسي من الباب لأطمئن عليها: اتركني في حالي واطمئن على الدجاجة والفراخ... الدجاجة والفراخ ؟ امرأة الصول أتت منهزمة، وزوجتي ترفع صوتها؟! لا بأس، هي تعاني... قفزت إلى السطح كأني لم ارتق درجات السلم. الدجاجة قامت عن البيوض... كلها متشققة... شكلها جميل... ربما لو ساعدت الفراخ لتخرج لولدت زوجتي... القشور ملتصقة تماماً بالفراخ التي انكمشت... صوت تلفاز في أحد بيوت الجيران يصلني بعبارة واحدة بأصوات مختلفة: نحن الأحق بها، وأنتم تريدون ركوبها... وديكة البيوض تتصايح.

شاهد وشهید

obeikandl.com

obeikandl.com

فتح السائق الباب الخلفي كي أركب، لكنني فضلت أن أركب إلى جواره كي أكون شريكه في متابعة الطريق... تحركت السيارة بعد عبارات الإطراء التي أغرقني فيها، دمث الخلق، مثنياً على تواضعي... إنه لا يعلم أنني ما فضلت الركوب إلى جواره إلا لأكون أكثر قربا من الأرض التي تجري فوقها السيارة، وكي أكون قريبا من عجلة القيادة، وذراع ناقل الحركة الأوتوماتيكي... قطع السائق صمتي بعبارته: لقد تهربت من مشوار كانت الشركة تكلفني به لأكون معك، فمنذ أخذتك من المطار إلى الفندق وأنا أشعر أنك رجل محترم... باغتته بالسؤال: كيف تقيسون احترام من يركبون معكم؟ التفت لي مبتسماً: ظروف البلد صعبة، وكما ترى البلد كأنه ينقلب رأسا على عقب ولا نعرف هل سنبقى على حالنا لنربي العيال أم سيتبدل الحال...

كانت المدرعات، والدبابات تملأ الشوارع مصطفة إلى جانبي كل طريق... تأفف مرات ومرات كلما وجد مسارات الشوارع تتبدل إلى طرق أخرى... تنفس الصعداء حين دخل الطريق الدائري... نبهته إلى أن يبقى في طريقه، وألا يتوقف لأي سبب ومهما رأى... النيران المضرمة في شاحنة وسيارة صغيرة متصادمتين لم تشغل تفكيري مثلما شغله انعجان للسيارتين، إن هذا الطريق كأنه على موعد مع شواء فاخر، ترى لحساب من؟

السيارات على الجانب الآخر من الطريق تنطلق مذعورة، وسرعة سيارتنا تجاوزت المائة وأربعين كيلومترا في الساعة، ولكننا لم نكن نشعر بازدياد معدل السرعة... السائق هاديء، بينما أنا أتلفت في كل اتجاه، ربما لأن من طبيعتي التقاط صور الأشياء في كل مكان، أو ربما لأنني متلهف للوصول، وربما لأنني خائف على المبلغ الكبير من المال الذي أحمله، كل هذه كانت احتمالات تلاشت أمام الرغبة في أن أنزع عني هذه الثياب الفخمة وألبس ما يليق بأن أكون بين الثوار... ألتفت حولي وإلى والوراء... ما زال كل شيء يجري محموما... وكل شيء يتهاوى دون تمييز.

المتجمهرون حول عربات الميكروباص قبل مخرج الطريق الزراعي يعطلون حركة المرور... لأول مرة لا أرى بينهم بدلة أمين شرطة أو شرطي يركب السيارات غصبا، لكن مزاحماتهم هي مزاحماتهم، وأشكالهم هي أشكالهم ونداءاتهم هي نداءاتهم، بيد أن أصواتهم ارتفعت أكثر، وسبابهم صار صريحا... اللافتات الكبيرة مهشمة، الرموز الكبيرة منهارة... نباتات متخالطة الأنواع شقت الأرض ناظرة في كل عموم البلاد من مكانها... من أتى بهذه الأنواع الغريبة إلى هنا في هذه التربة؟ أم أن البذور كانت تنتظر أوان إنباتها وكان يمنعها المناخ؟

نظرت في السماء... الغيوم تعيد رسم تشكيلاتها... في كتاب العلوم حين كنا صغارا كانوا يقولون لنا: ليست وحدها الشمس المتحكمة في درجة الحرارة ولا في حركة الرياح ولا المواسم... الريح ناقلة اللواقح... الحريصون يزرعون المصدات... فجأة توقفت، تسمرت السيارة في مكانها... بالكاد حاولت ألا ترتطم رأسي بزجاجها الأمامي... صرخ السائق بكل ما أوتي من غيظ: ماذا يريدون؟ ماذا يفعلون؟ شباب على دراجات نارية يقطعون الطريق وينطلقون عكس اتجاه السير... عاودت السيارة انطلاقها... صوت في الإذاعة يقول: مصر ستبقى محروسة بقائدها، وزعيم الأمة العربية، صاحب الضربة الجوية... سألني السائق عن رأيي فيما يحدث فأجبته بأن العالم يتبدل ومن لا يؤمن بقانون التغير الحتمي، والحراك الجبري هو جاهل حتما... نظر لي نظرته للذي يهذي قائلا: يا باشا انعدم الأمان، ولولا أنني صعيدي وعندنا سلاح كانوا حطموا علينا الشقة، لم أعر كلامه كثير اهتمام، لكنني مهتم بما يقال عبر الراديو، وما كنت أسمعه وأراه في المحطات من مشاهد القتل والفرم العمد للشباب، كنت مع هؤلاء الشباب الذين ضحوا بكل شيء وهم في مقتبل العمر... كنت أوازن بين مفهوم أمن الدولة أو تنفيذ أمن الدولة، والجيش الذي نزل إلى الشارع بآلياته...

اتصال المسؤول في الشركة التابعة لها السيارة أربك السائق... انخفضت سرعة السيارة... لزم الجانب الأيمن للطريق... يرمقني بعينين حائرتين، خجلتين بينما يقول: لكنه مصري، كيف أتركه وحده في الطريق في هذه الظروف؟... استبنت أنه يؤمر بأن يتركني... أغلق الهاتف، وألقى به إلى جواره في ثورة من الزفرات، كنا قد اقتربنا من المخرج المؤدي إلى الطريق الصحراوي... عاود الهاتف الرنين مرات ومرات... طلبت منه أن يرد... إنه المسؤول من جديد صوته واصل إلى أذني... إلى مركز فهمي المتعجب، كيف له أن يأمره بأن يتركني في الطريق مع أنني سأدفع لهم؟ ناولني السائق هاتفه مع عبارة: من فضلك كلمه... أتاني صوت من الهاتف يدعي الأدب ويرسم في نبراته احتراما زائفا: أهلا بحضرتك، وشركتنا لها الشرف أن تنقلكم، لكن كما ترى، إن الوضع مقلق، ولا أعتقد أنك تريد لنا الخسارة... بهدوء مصطنع رددت عليه: من حقي أن تقدموا لي خدمة مميزة بما يليق بي وبكم، رد علي بما يصطنع: حضرتك عارف ثمن السيارة التي تقلك، لكن ربما لا تعرف أنهم الآن يحطمون السيارات من الموديلات الحديثة، وتعرف أن B.M.W يعتبرونها سيارة من سيارات الحرامية... أثارتني العبارة جداً، فنهرته: احترم نفسك فأنا لست حراميا، وستوصلني السيارة إلى حيث أريد، وليس لكم عندي غير ما سأدفعه... حين بدأ يرفع صوته، شتمت شركتهم، ثم قلت: أنا مصري يا أخي واحترم نفسك، فرد

قائلاً: لأنك مصري لا بد أن تقدر وضعي...

- لا بد أن تقدر أنت وضعي.

- والله لو أنك سائح أجنبي لعذرتك، لكنك مصري وفاهم.

- فاهم ماذا؟ فاهم أن تتركني مع حقائبي في الشارع؟ في طريق سريع؟

- من فضلك اعطني السائق.

سلمت الهاتف للسائق وكلي غيظ... رد عليه السائق ووجهه يشي بأنه يسمع كلاما مقذعا، لذلك كان وضعه على أذنه اليسرى... أغلق الخط... شغلت الراديو: مزيد من السجون تفتح وفرار جماعي للمساجين... نظر لي السائق قائلاً: كل حي بياخذ نصيبه، هددني بالفصل... أنا أعي جيداً مرارة هذه العبارة ومن أين تخرج: تخرج من قلبه، من قوت عياله، من تدبير زوجته أمور بيته، من وضعه بين معارفه؛ لكنني صممت أن يوصلني إلى بيتي... نقاط شرطة الطرق خاوية على عروشها... دب الاضطراب في حركة السير على الطريق، أدخنة الحريق في كل مكان... كان يشاركني الترقب... سأوصلك إلى حيث تريد مهما كانت الظروف... مازلت في صمتي لدقائق حيث لاحت لنا فتحة دوران، صرخت فيه: قف... بقوة كبحت السيارة... قلت له: استدر.

obeikandl.com

- إلى أين؟

-أعدني إلى الفندق.

ابتسم الرجل كأنني قلت له: هذا باب الجنة... لم نتكلم... كل منا غاص في أفكاره... تعطلت شبكة الاتصالات تماما... لم ننتبه إلا ومسيرة ضخمة في الشارع الذي دخلناه في طريقنا إلى الفندق في مدينة نصر... المشهد مثير جدا، والحمية دبت دبيبها في... الذعر ملأه.

نزلت من السيارة لأنتظم في هذا البهاء الرائع، وهذا الانتظام المحترم... دون أي مقدمات خرجت جماعات أخرى... ويح هذا التناقض... تداخل الجمعان في مشهد واحد... الاضطراب عم بلا مقدمات، جنود الجيش يطلقون أعيرة في الهواء... أعيرة نارية أخرى بين الحشود... جماعة هجموا على السيارة يحملون سيوفا ومسدسات، خفت على السائق فتراجعت وتبعني جماعة من شباب صغير السن، أطلق الهجامة النار... أخطأني الطلق بينما مات شاب بين يدي... وآخر انفجر رأسه... ثلاثة من الجنود هاجموا، صوبوا على الهجامة... حقيبتي بين أيديهم وأنا بين يدي الدهشة... قُتل واحد منهم... تمنيت لو أني قتلت الآخرين أو قتلهم الشباب من حولنا... عم الهرج... لم أعرف من يحمل من، السائق يبذل قواه ليحشرني في السيارة... انطلق... كنت أتحسس ثيابي لأطمئن أن

مالي ما زال معي، تذكرت أنني ذاهب الآن إلى الفندق بلا حقيبة كانت فيها أحلام كثيرة وهدايا لأبنائي... في مدخل الفندق شاشة عرض فيها مشهد دام لشباب محمولين على الأكتاف، الشاشة مقسمة... المذيع في ركن وفي الركن الآخر القاهرة الآن، الصورة تملأ الشاشة... تقترب الكاميرا... البلطجي الهجام محمول على الأكتاف، والشاب الصغير الذي مات بين يدي أيضًا على الأكتاف وهذا الرأس لابد أنه الذي تفجر جثمانه على الأكتاف... مسيرة حاشدة... العلم يلفهم جميعا... والعبارة المكتوبة في الشاشة تخرق عيني: حق الشهداء لن يضيع.

obeikandl.com

obeikandl.com

تهانــي

obeikandl.com

obeikandl.com

استقبلها بيت أمها بالأفراح وأكاليل الورود المصطفة حاملة بطاقات تزف التهاني بالزواج السعيد والعقد الميمون... استقبلتها أمها في زهو، فكل أمارات السعادة قد اجتمعت مقيمة حفلاً دائمًا في كل قسماتها... إصرارها على أن تتخلص من الماضي غيرها وأبدعها من جديد، فلا آثار للدهون، ولا ترهل... أخذت توزع ثيابها القديمة التي سكنت خلائفها الجديدة الأنيقة الزاهية مكانها في خزانتها، وقد عرفت العطور بأنواعها طريقها لغرفتها، وحقائب يدها.

جناء السنين التي تبعت طلاقها الأول أفرجت عنه ثمنا للسعادة والمتعة الجديدة... بوقاحة مرحة ألقت أختها سؤالاً في أذنها: خلصت عليه؟ تحسست كل ما فيها قائلة: حاسة أنه من يوم فارق زوجته الأخرى اختزن كل ما فيه لي... إنه لا يشبع، ولا يضيع فرصة وفي وقت الفراغ هو المتغزل في كل مفاتني... يقول لي: إن السمرة الحارة خلقت من أجلي أنا، ومن أجل أن يحصل عليها هو... دخل أخوها بين نظرات الجميع قاطعا التعجب بعبارة واحدة: فقط سأبدل ملابسي وأتركم للاستقبال... عارف يا أمي، بعد لحظة وأخرى ستأتي المهنئات، لكن أذكر تهاني حبيبتي بأن اختيار أخيها كان صائبا، والدليل واضح في الخاتم، والسلسلة (والله تستاهلين يا تهاني، صبرت ونلت، لكن لا تضيعيه منك) قبلته في خديه

بينما يرن جرس هاتفها المحمول... ردت بين عبارات أمها وأخوتها: الحبيب لا يطيق، قولي له ما عندنا وقت، اصبر شوية... كل ما فيها يرقص مع الدنيا التي ترقص مع أنغام هاتفها... أتاها صوته الرخيم طالبًا أن يلتقيا بعد ساعة، تدللت قائلة : للتو وصلت والليلة استقبال، ولا بد أن أستقبل ضيوفي يا حبيبي، أما تشبع أنت؟ الغرفة في شيراتون محجوزة، اسبقيني بعد ساعة ورتبي لنا ليلة من لياليك وسآتيك، لن أتأخر... أمام إصراره وافقت حائرة، كيف ستتخلص من الموقف المحرج... وبماذا تتعلل لأهلها وضيفاتها... كل الاستعدادات التي اتخذت والأفراح المنتشرة روائحها في جنبات البيت والتهاني المتوقعة، العبارات الجميلة، والأسئلة المشاغبة التي كانت تلقيها على صديقاتها لا بد أن ترد إليها الليلة؛ لتعيش نشوة الإجابات ونشوة الاستحضارات ونشوة التعويض التي ادخرتها لها الدنيا بعد أن كانت مثار الأحاديث، ومحط الشفقة، ولوم الأم وعتابها، وتعقب الأخ وفرضه القيود على المطلقة الشابة الموظفة كثيرة الخروج والاختلاط... لكنه هو الذي أتى لينتشلها من كل هذا، هو الذي يملك بصك زواجهما صك منحها الحرية والانطلاق والاستمتاع بالحياة، تؤمن بأن امتلاكه إياها هو نفسه تحريرها وإطلاقها من الثقب المحشورة فيه، الذي تعيش فيه كونها أنثى بالخلق، معطلة بالفعل... بين أفكارها كأنها غفت للحظات أفاقها منها هجوم الزغاريد على البيت وكأن كل المعزومات اتفقن أن يدخلن دفعة

واحدة كما تطلق الديمة روحها إلى الأرض المخضرة.

- منذ نصف ساعة وصلت، أنتن تأخرتن عن الموعد، لكن ورودكم سبقتكم إلي بقلوب طيبة.

الموسيقا تنساب في المكان... العبارات الرقيقة تتطاير منها ما يتعانق ومنها ما يفرد أجنحته إلى السماء راجياً الاستجابة، وهي بين الانتشاء بطلبه أن يقضي معها الليلة ككل لياليهما، وبين أفكارها للتخلص من مأزق المغادرة، لكن الساعة قد تفكفكت وتلاشت ثوانيها بين الحاضرات... لا تريد أن يغضب عليها، ألقت بعبارة: سامحنني يا عزيزاتي، ناصرتها أختها قائلة: الحبيب غير قادر على تحمل قضاء ليلة بدونها. ردت إحدى القريبات: تمنعي عليه كي يعجل بتجهيز البيت... ردت عليها: هو أخبرني أنها مسألة أيام وسأنتقل إلى بيته الجديد، أكثر الحاضرات امتعضن لقرارها المغادرة... بينما بعضهن تهامسن: مسكينة لا لوم عليها، ولائم الجائع لا أذن تسمعه... سيارتها كانت أشد حرصا على تلبية الدعوة فنهبت الطريق نهبا، بينما هاتفها لا يكف عن إبلاغها بتهاني الأصدقاء من الرجال والنساء ما بين متصل ومرسل رسالة، أو صورة باقة ورد، والقلوب الملونة تتساقط عليها بدعوات تحرسها من العين... وقفت أمام موظف الاستقبال مقدمة له بطاقتها، بعد ثوان أخبرها أن غرفة

محجوزة باسمها وزوجها مع عشاء مخصوص، وأن الدفع مقدم، أخرجت بطاقتها البنكية من حافظة نقودها... سلمها الموظف مفتاح الغرفة... الماء المنهمر المتدفق غمرها، غسلها، سيل من ذهنها الحرج ممن تركتهن في بيت أمها.

رنين الاتصالات يتوالى، وتنبيه استلام رسالة لا يكاد أن يصمت حتى يعاود، في غمرتها انزلقت قدمها في المغطس، كادت أن تسقط، شهقت، زاغ بصرها لبرهة، جلست على الحافة، باغتتها ذكرى المغطس الذي أخرجوها منه في بيت زوجها السابق شبه ميتة منقوشة الوجه والجسد بالدماء والكدمات وحين أفاقت في المستشفى بعد أيام لم تكن تعرف عدتها، تمنت لو أنه قتلها بدلاً من أن يحفر بالصفع واللكم أيامها السود... دون وعي تخللت أصابعها شعرها تتحسس آثار الجرح الغائر في مؤخر رأسها.

الطرق الخفيف على الباب جذبها من المغطس، سألت، أجابها... فتحت متلملمة في (البرنس) الأبيض... أغلق خلفه الباب، يغمرها بكل ما تتمنى أنثى، فارقت قلبها آلام الاعتصار... كان أكثر بهاء تلك الليلة، وأكثر تأنقا، يفوح منه عطره فينتشلها مما كانت فيه منذ لحظات... منذ سنين... منذ آلام ... منذ آيات السقوط... أمام طاولة العشاء مجدد النشاط وباعث الحيوية التي التهمها قدم لها مظروفا... سحبت منه ورقة

هي الأكبر، عقد إيجار شقة فاخرة مكونة من ثلاث غرف وصالة وحمامين، لم تمانع في أن تقيم في شقة مؤجرة إلى أن يشتري بيتا يجمعهما، أخرجت باقي الأوراق... قسائم بمصروفات الرحلة كاملة وقيمة تذاكر السفر، قامت تقبله فالمبلغ كبير، رد يقبلها قائلاً: إذا وقعت على العقد وتتعهدين كتابيا بسداد الإيجار وسددت لي قيمة هذه الفواتير ستستمر علاقتنا...

obeikandl.com

obeikandl.com

شيطان يطلب إعانة

obeikandl.com

obeikandl.com

جلس إبليس خلف طاولته السماوية يتفقد التقارير والإحصاءات... بين أوراقه واحدة معنونة بطلب إعانة، ممهورة بتوقيع: شيطان رجيم... انفعل السيد إبليس جدا لهذا الطلب الذي يستقبل به يومه، فلم يتوقع ما قرأ فيه من مسوغات للطلب فأرسل يدعو مقدمه...

أتاه في هيئة هزيلة، وجسد نحيل... ركع له، فرق لحاله سائلاً عن حقيقة ما سرد في طلبه، فأقر به الشيطان معقباً ليس حالي وحدي... قاطعه إبليس قائلاً: أعرف أننا نمر بأزمة عمل هذه الأيام، وهذا ناتج عن سوء التخطيط، حتى صار البشر يزاحموننا في وظائفنا، لكني لم أكن أتوقع أن أرى شيطاناً من قبيلي في هذه الحالة الرثة... أشفق إبليس لحال الجن، فإذا كان هذا حال شيطان فما بال الأتباع من الجن الشغالة!

استأذن الشيطان في أن يسرد عليه أخبار آخر ساعة قضاها بين البشر فسمح له أن يسردها:

ذهبت إلى دواوين الحكام أوسوس لهم، فوقفت مذهولاً مما يحاك من مخططات وألاعيب، حتى أني أحسست بتخلفي وكنت أفكر أن أتقدم ـ للعنتكم ـ بطلب لإرسال بعثات منا لمحو أميتها على أيدي هؤلاء الذين اخترعوا الأمراض لينتجوا لها أدوية، فتتكدس الثروات في خزانتهم، بينما نحن نكتفي بأن نتبع ساحراً أو دجالاً أو نوسوس لمؤمن فيكفر بمعتقده...

أنا تعبت يا مولاي من لعبة الأديان، ولعبة نخاسة الجن... آخر جنية كنت أوظفها أتتني ممزقة، فلما سألتها عن حالها أخبرتني أنها غشيت رجلاً لتلهيه عن عبادته، فلما واقعها ظنت أنها ستمتص قواه، فإذا به يوشك أن يهلكها، ولما دخلت إلى دمائه وجدت فيها منشطا... كان إبليس يعبث في أوراقه بينما يسمع... اندهش سائلاً: وما هذا؟! فأجابه من اختراعاتهم يا مولاي، لا نعرف عنه شيئاً... نعته إبليس بالغباء لأنه لم يروج لمثل هذا فيهلك قوى الرجال، ويفسد الزوجات... رد عليه الشيطان في خجل: وما حيلتنا والإعلانات تملأ كل شاشة وجريدة... يا مولاي كل ما استطعنا فعله هو أن نحرض زوجات على أن تدسه في أطعمة ومشروبات أزواجهن، ولم يستغرق هذا زمناً طويلاً وأرباحه لنا ضئيلة فقد وجد الفقراء منه أصنافاً رخيصة... أما الحروب يا سيدنا فحدث ولا حرج، أتعلم؟ هناك من ينافسك في اسمك ويسمونه بالشيطان الأكبر... سخر إبليس قائلاً: أعرف، إنها أمريكا... يسمونها الشيطان الأكبر، لكن لا تحزن، لقد اعتاد هؤلاء الذين أطلقوا هذا الاسم أن يخترعوا شياطينهم ليعللوا بها رضوخهم وتخلفهم، أتعلم يا مسكين؟ كنت لا أقدر عليهم بكل ما أملك... قاطعه الشيطان بسوء أدب: يا مولاي يصورونك بذيل وقرون حتى صار الأطفال لا يهابونك والمصانع تبيعك لهم على أنك دمية... غضب إبليس غضبة شديدة وحوم حول الأرض فرأى شعوباً تثور، وعاد للشيطان مزهواً

بما رأى فرد عليه: يا مولاي هذه شعوب لم يعد لنا فيها مكان، هم مشغولون بالدنيا وبأنفسهم، حاولنا أن نفسد حكامهم فمجدوهم ففسدوا، وحاولنا أن نفسدهم على حكامهم فثاروا، وأزالوهم ثم فسدوا فيما بينهم... إن منهم من يعمونهم، ويضلونهم كلما وجدوا السبيل... تجار الدم يا مولاي اتخذوا قصورا فخيمة وأموالاً طائلة، فملكوا الفتنة يوزعونها فبارت تجارتنا، إنهم أبلغ منك في الكذب...

كل هذا يا مولاي هين، أما الجوع ـ يا لعنة الله عليك ـ فأشد ما نعاني، إننا لا نجد غير فتات، العظام لا ترمى إلا ملساء ناعمة، وصاروا يطعمون مواشيهم فضلاتهم وفضلاتها... اعتدل إبليس يسمع باهتمام حتى أنه رد كل من يطلبه... استهان بكل شيء، بتقارير القتل والعهر واستعباد الأطفال، واهتم فقط بما يقول شيطانه البائس الفقير قائلاً: أكمل.

في بيوت الفقراء صرنا نرقبهم وهم يتقاسمون فتات الفتات ليشبع بطونهم، حتى إنهم يشترون أمعاء الدجاج ليطبخوها، كانت مشبعة لنا، حرمونا منها... وفي بيوت الأغنياء نجلس عاطلين نراقب سهراتهم وولائمهم.

جأر إبليس قاذفاً إياه بجمرة كبيرة في وجهه: يعني لم ينعدم الأكل والأغنياء قامتهم عامرة... ضحك الشيطان قائلاً: يا مولاي، هناك من هم أشد انتظاراً، يسبقوننا، يتصارعون مع الكلاب والقطط الضالة علهم

يسرقون كل ما يصلح للأكل من الهوام... وقف إبليس كأنه لوح حديد منصهر، يشهق بالبكاء... واساه الشيطان سائلاً سبب البكاء، ومن بين دموعه أجابه : إن كان حالهم وصل إلى هذا، فاذهب وعد إلي بأخبار من يديرون كل هذا فلعل لديهم وظيفة شاغرة لي.

obeikandl.com

السقـوط

obeikandl.com

obeikandl.com

أومأ إليه طبيب التخدير أن الحالة نائمة تماما... أشار إلى مساعده بموضع خطط عليه بقلم أسود... هذا مكان الفتح... برشاقة مرر النائب المبضع العارف طريقه... الجراحة بالمبضع دائماً هي الأفضل رغم كل التقدم والتطور والآليات والإشعاعات والمناظير... علق الجراح: الحصاة تظهرها الأشعة كبيرة وتشغل أغلب مساحة الكلى... الواقف في زي أنيق يضع على عينيه نظارة سوداء يراقب عن كثب ما يجري ويرصد كل كلمة تقال... عيناه كالرادارات ترصد كل شيء ابتداء دون تمييز ثم تبدأ عملية فرز البيانات، لكن هذا لا يستغرق إلا ثوان معدودة...

الحوامات فوق الميادين ترصد كل ما يدور فيها وكل شاشة تعرض نفس الحدث لكن بيانات قد تتشابه، وقد تتضارب، وقد تتفق على المبدأ لكن بعروض مسرحية متغايرة... الازدحام شديد... أخذ الجراح يوسع القطع في اللحم من تحت الجلد موجهاً كلامه إلى ذي النظارة السوداء، الفتح نظيف جداً، وسنحافظ على أن يكون الجرح السطحي صغيراً، وألا يترك أثراً... الملاقط أحجامها مختلفة، لكن كلها ضرورية لهذه الجراحة... الممرضات الواقفات من خلف الأطباء بادية عليهن علامات الاهتمام... عيونهن تقول كلاماً كثيراً، فعين معجبة لوسامته، وأخرى مشفقة، وثالثة تسحقه غيظاً لكنها تواري كل هذا في انشغال بمناولة ملقط أو أخذ ملقط...

التي تجفف العرق على جبينه حريصة كأنها تلتقط حبات اللؤلؤ... إنها تعرفه منذ عملت في هذا المستشفى، فهو لا يجري فحوصه الدورية إلا فيه... ولم لا والمشفى كمنتجع، صحيح أنه في منطقة مكتظة بالسكان، إلا أن من يدخله ينعزل عن الركام المتكوم حوله من أبراج سكنية ومحال، وسيارات تئن محركاتها.

حين دخلت من الباب الكبير كنت أتساءل: كيف له أن يعالج في هذا المكان؟ المشهد من الداخل مبهر، فالجو في الداخل لا علاقة له بما يجري في الخارج، إنها قطعة من عالم آخر أتت إلى هنا في مهمة، ولا بد أنها ستغادر... أرشدوني إلى مكان غرفة العمليات... أدخلوني غرفة التعقيم... ألبسوني ثياباً معقمة، وكمامة معقمة، وحذاء معقماً... أبلغني مرافقي أن البيانات الآتية تفيد بأن الأطباء أقاموا مستوصفات في المساجد والكنائس، والخرابة... أشحت له بيدي قائلاً اطلب له الشفاء... ردت علي التي تتقدمني لغرفة الجراحة: الجراح الذي بيده الأمر لا يعرف المستحيل. إنه قدير... ما أؤمن به أننا جميعاً متعلقون به، ولا بد أن أكون معه من قبل أن تبدأ الجراحة... كان الجراح منهمكاً جداً... حين رآني، أبدت عيناه تعجباً لدخولي... همس الواقف في الركن في أذنه، فتبسم لي من فوق كمامته، وبرطم: كل شيء على ما يرام... هذا الجسد الممدود تعبث به الأيدي لم يكن يقتنع بأنه سيتوقف عن العمل حتى لو توقفت

دورة الأرض... هذه الملاقط التي تجذب دفتي الجرح كيف استطاعت أن تسيطر عليه؟

انتحى الطبيب جانباً مع نائبه بينما جميعنا ينظر إليهما، ومعاون آخر منهمك يشفط الدم المتسرب في تجويف الجرح... علامات البؤس والحيرة بدت على وجه الجراح حين أقبل يخبرني أن العلة تجاوزت أن تكون حصى كلية... إنها تالفة ولا بد من استئصالها... برباطة جأش قلت له: افعل ما ترى.. استأصلها ما دامت الأخرى تعمل... دافع داخلي جعلني أتحسس القطعة التي قطعها من جسده... أريد أن أتعرف عليها بكل تفاصيلها... بعفوية قليلة الأدب أزاح الجراح يدي في دهشة كل الحضور قائلاً: الحالة تتدهور... سرطان... خيمت الدهشة على الجميع... وحدها ارتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة... أشرت إلى ذي النظارة فسحبها بلطف إلى الخارج... هو يفهم التعليمات بالإشارة ويعرف ما سيفعله... عاد إلي بعد دقائق مومئاً بتمام المهمة ولم أنتبه له تماماً، فالجراح قد أخذ مني الأمر بالتعامل مع الورم... أخذ مني أمراً بإحداث شق آخر... يحتاج إلى دم... من أين نأتي بهذه الفصيلة؟ كل الموجودين من خاصته أبدو إصرارهم على التبرع له بدمائهم. الفحص أفاد بأن دماءهم لن تصلح... كيف أخبرتني أن الجراح قادر على فعل المستحيل؟

أتت تفيدني أن دماً صالحاً سيصل عما قريب، ولا مدعاة للقلق... انضم فريق من الأطباء لمساعدة الجراح القدير... تضايق جداً لقدومهم... انتزع جزءاً من الأمعاء... آخر يوصل الطرفين... كانت الحوامة قد هبطت في مهبط خاص فوق المستشفى آتية بالدم... تهامس الأطباء، والجراحون: إن الورم ينتشر بسرعة... فتحوا معدته... روائح لحم بشري تخرج منها... رائحة الطين تخرج منها... الأمر صار أكثر تعقيداً... أشار طبيب بأن مرافقي بالخارج يطلبني: الناس احتشدوا أمام المستشفى... سحقا... عالج الموقف... الكل يجتهد... يجتهد ايه يا ابن الـ(...) انتباه... أفاد الجراح بأن الدم الذي أتوا به تفوق أثره كل العقاقير... دبت فيه الحياة من جديد...

أمرت بتابوت وعلم ... أزلنا آثار الدم... وضعناه في التابوت... أقسمنا القسم العظيم... قسمنا الأدوار فيما بيننا... المحتشدون يهتفون: احرقوه... احرقوه... حقوقنا... حقوقنا... التابوت محمول من ورائي... أتقدم طالعاً من الباب... رجالي رفعوا سباباتهم إلى السماء... خرجت أصوات من بين الناس: الجنازة... الجناز... الجنازة... الجناز... انتظموا... اشترطوا نزع العلم... أقيمت جنازة وجناز... انفضوا يفكرون في القضايا... سألني تابعي... ماذا لو تبعونا؟ همست: لن يفعلوا... وما فعلوا... انفضوا يسألون عن قضاياهم المرفوعة... سألت تابعي: من أين الدم؟ بكل برود قال: من

الميدان ... سألني : وماذا عن الباقين؟ أجبته: ألا ترى؟ التوابيت ما عادت تحمل أمواتاً.

obeikandl.com

obeikandl.com

أسواق اليوم

obeikandl.com

obeikandl.com

دخلت المجمع التجاري مع ابنتي لأشتري لها لعبة وعدتها بها إذا أتمت حفظ جزء من القرآن، بعد أن أتمت حفظ جزأين في عامها الدراسي الأول ووعدتها أن يكون عشاؤها في أحد مطاعم المأكولات السريعة لأنها حققت تفوقاً في أول امتحانات هذا العام... الطفلة فرحة جداً لأنها فائقة، ولأنني أبر بوعودي لها... لبست تنورتها القصيرة ذات الألوان الزاهية، أحبت أن أفك لها الضفيرتين، وتسدل شعرها على ظهرها بين الأقمار اللامعة والنجوم على (البلوزة) الزرقاء.

واقفة في ركن عند باب الدخول استقبلتنا بنظرة معاتبة... استقر في ذهني أنها محتاجة، فاقتربت منها... سلمت علينا ثم قالت: زيك يا أختي غير إسلامي وهذا حرام، المرأة فتنة للرجال، وفتنة للشياطين، ولا بد أن تلبسي ما يليق بامرأة مسلمة عفيفة، يا أختاه؛ البنطال حرام، والقميص حرام... نظرت إلى ملابسي: فستان طويل ذو كمين طويلين واسعين، وعصابة رأس لا يظهر منها غير وجهي... الرجال يا أختاه يلاحقون النساء بعيونهم، وإذا لاحقك الرجال، سيلاحق زوجك النساء.

زوجي رجل عاقل يحب الاحتشام، ولا يرغمني على لبس شيء معين، لكن لا بأس إذا كان هذا سيرضي الله، لكن ما هذا الزي الإسلامي الذي تقصد؟

بطريقة أوحت أنها تقرأ أفكاري أشارت إلى نافذة عرض، قلت لنفسي: لا بأس من خوض التجربة... سأرى، وإن أعجبني شيء اشتريته، في كل الأحوال كنت سأشتري ثوباً جديداً أحضر به عرس أخي عما قريب... دخلت المحل، فاستقبلتني فتاة صوتها حميم تسألني عما أريد... قلت لها: آخذ فكرة عن بضائعكم، ردت علي: بضائعنا تعتبر هدايا للأخت المسلمة لأن أسعارها قد لا تساوي تكاليف صناعتها، وأهم شيء: أنها ثياب تُدخل الجنة، فالله لا يقبل إلا المستترات... صوت القرآن في المحل يرغم على الخشوع، فتنقى الروح وتشف حتى تصير حمامة بيضاء محلقة في رحابه... كل الثياب سوداء هنا؟ كان هذا سؤالي الذي ردت عليه: الأسود سيد الألوان يا أختي المسلمة... الرجل الجالس وراء ماكينة الفلوس منهمك جداً في جمع ما تدفعه النسوة، وشاشة كاميرات المراقبة المنتشرة في المحل... الثوب رخيص ويستر من الرأس إلى القدمين... أقنعتني الفتاة أن أشتري نقاباً يتفق مع الثوب، وأنها تحصل على نسبة مقابل ما تبيع، واشتكت لي حالها وحال أسرتها، فلم أر مانعا من أن أفعل خيراً بمساعدتها ما دامت تعف نفسها عن الحرام والتسول... نقدت الرجل ثمن ما اشتريت... ناولني قسيمة الشراء، وعبارة: بارك الله فيك يا أخت... لا تنسينا بالدعاء ودعمنا... هممت بشكره فقاطعني: لا تردي، فصوت المرأة عورة... تعجبت وأنصرفت خارجة من المحل، فإذا بامرأة تسلم علي

قائلة: يا أخت، التشدد يفسد الدين، الدين يسر، والمرأة العفيفة لها الجنة في الآخرة والسعادة في الدنيا... أخبرتها أني مؤمنة، وأنني اشتريت ثوباً ونقابا، فقالت: لا يا أختي، ليس بهذا، فهذه تصاميم دخيلة علينا ولا تعبر عن ديننا ولا طبيعتنا، والدين لم يقل بتوحيد الثوب، اشتري من هذا المحل أفضل... ملابس محتشمة، وفي نفس الوقت ستجدين ما يعبر عن شخصيتك... دخلت... استقبلتني فتاة مرحبة... الملابس المعروضة أيضاً سوداء، لكن فيها نقوش وتطريزات وحلي... خرجت إلى المحل الآخر أرد له ما اشتريت، وأسترد ما دفعت، فنظر لي الرجل بصرامة قائلاً: أنت لم تدفعي ثمناً يا أختاه، بالله لو أنك تشترين هذا الثوب من مكان آخر ستدفعين فيه هذه القروش؟ أنت يا مسلمة أعطيت هبة تنفع المسلمين والعائد في هبته كاللاعق في قيه... خفت من الله ولم أصر، فكيف أحرم المسلمين من جنيهات قد لا تكفي ابنتي حلوى لأسبوع!... انصرفت فإذا بالمرأة الواقفة تنظر لابنتي قائلة: (اللي تلبس قصير تروح النار). صرخت البنت مرتعبة: (هاكون مع الكفار يا ماما؟) عقبت المرأة : (واللي تكشف شعرها)، صرخت في المرأة: (حرام عليكِ، إنها بنت صغيرة، طفلة، اتقي الله)... التصقت ابنتي في مكانها مصرة أن تخلع ثيابها وأن أشتري لها ثياباً غير ثياب الكفار... أمام إصرار ابنتي دخلت المحل الثاني، فوجدت الفتاة تقدم لي عباءة تناسب ابنتي ورباط رأس... فرحت الفتاة بجديدها

وأصرت ألا تخلعه، همست لي فتاة المحل: لدينا تشكيلة جديدة من العباءات والملابس الداخلية المثيرة للأزواج... انتبهت ذاكرتي إلى الموجود في المحل الآخر، وسألت الفتاة: لماذا تبيعون هذا؟ ردت علي: إمتاع الزوج مهمة المرأة المقدسة... رفعت يدي مشيرة صوب المحل الآخر، فقالت متضاحكة: يزعمون أن المرأة إذا تبرجت لزوجها سيشك في تصرفاتها... عندنا مستحضرات تجميل، وكحل المرأة المسلمة... ضحكت من كحل المرأة المسلمة... أليست العين هي العين؟ قالت كحلنا يناسب النقاب... أغرتني بعباءة، ونقاب، وبعض مستحضرات التجميل... خرجنا بعد أن دفعت قيمة ما اشتريت، وسعيدة لأن ابنتي فرحة بما تلبس... اقتربنا من محل بيع اللعب، فإذا برجل واقف يكلم جماعة من الناس قائلاً: الدمى المؤنسنة أصنام فلا تدخلوها بيوتكم، كان داعية في التلفاز الموضوع في المقهى العام في صحن المجمع يقول: الأطفال أحباب الله، وعلينا أن نرعاهم، وأن يمرحوا، ويلعبوا، ولا يجب أن نقيدهم بما يتقيد به الكبار، هل يتصور عاقل شكل بنت صغيرة تلبس مثل أمها أو طفلاً في مرحلة رياض الأطفال يلعب الكرة بجلباب؟ ديننا حضاري يا إخوان، وقفت الطفلة تنظر بيني وبين التلفاز، وبخجل قالت: أريد أن أبدل ملابسي يا ماما ، قال الرجل الواقف أمام محل اللعب: قولي أمي، ولا تقولي ماما مثل الكفار يا بنت... تعجبت كيف يتدخل هذا في حديث بيني وبين ابنتي... نظرت إليه شزراً

وانصرفت مع البنت إلى محل الطعام... في مرحاضه بدلت لها ثيابها... سألتني إذ أناولها قطعة دجاج: ألن أدخل النار يا ماما؟ انفعلت بما قالت وسألت نفسي كيف تفترض هذه الطفلة أن تدخل النار؟ وبم تدخل النار؟ أنا الكبيرة حائرة أي ثوب يجب أن ألبس... نفس صوت المرأة الأولى يصل إلى مسامعنا، أكل الكفار حرام، أكل اليهود حرام، أكل المسيحيين حرام... ما في هذا المحل لم يذبح على الطريقة الإسلامية... حمدت الله أن البنت منشغلة بطعامها، لكن مع التكرار انتبهت... نظرت لي... أنا مستمرة في تناول الطعام قائلة: قلت قبل الأكل: بسم الله الرحمن الرحيم؟ أومأت بالإيجاب، قلت لها لا تنسي أن تقولي بعد الأكل: الحمد لله.

قرب مقهى آخر كان شاب يتكلم بصوتٍ عالٍ: لا بد من إعلان الجهاد، وقتل أعداء الله من المنادين بالمدنية الغربية... امرأة تتكلم عن المصايف الإسلامية وابتداء الحجز فيها... فررت منها إلى جهة أخرى من المجمع لعلي أجد محلاً للعب... ابتعدنا عن المكان في مكان آخر... اقتربت مني امرأة جميلة، وزينتها تشي بثراء عند باب المحل، تريد أن تقدمني وابنتي للدخول... عرفت أنها مسيحية من الصليب المتدلي على صدرها... أشارت بأن هذا أفضل محل لبيع اللعب... نظرت في الكيسين الورقيين اللذين يحويان ما اشتريت... قالت لي: هل تصدقين هذا الكلام؟

تذكرت الذين يتكلمون عن الفتنة بين المسلمين والمسيحيين... قلت لها: نحن أهل بلد واحد، لكم دينكم ونحترمه، ونحترم أيضا الآراء في ديننا... ردت مبتسمة عندنا في ديننا آراء أيضاً ونحترم كل الآراء، أتعلمين؟ محل العطور هذا أعلن عن تنزيلات، عطوره عربية طبيعية... أشارت نحو محل بالقرب منا... بينما تقول: أنا أشتري منه... عنده عطر له نفس رائحة الذي تتعطرين به... ابتسمت لها قائلة: سأجرب فيما بعد... دوى في أذني: المرأة المتعطرة زانية...

اشتريت لابنتي لعبة تعلمها الحساب... سلمت عليها وخرجنا من المحل أنا وابنتي... توجهنا إلى سوق المواد الغذائية والفواكه... اشتريت ما ينقص البيت... زوجي يحب رؤوس الفجل الأبيض... أدفع العربة، وابنتي جالسة على رفها العلوي، وما دار يستعرضه عقلي، وأصوات الشعراوي والغزالي... الإسلام لكل زمان ومكان... القرآن والسنة.. السنة والفكر... دين المدنية... صوت يأتي من ذاكرتي: فرق كبير بين الفقه وشرح الفقه... فرق بين التشريع وآراء العلماء... الدولة والدين... الدين والدولة... الفرق الإسلامية... الفتن... دفعت ثمن ما اشتريت... توجهنا إلى الباب.

المرأة تقول مشيرة إلى الفجل، والخيار، والموز: لا تدخلوا الخضراوات المستطيلة بيوتكم ففيها فتنة للنساء... استعيضوا عنها بالمقطعة أو المعلبة... وقفت ساهمة أفكر للحظات، ماذا، هل سيأتي من يحرم نوم المرأة إلى جوار الجدار وألا تجلس على الكرسي لأنهما مذكران؟ ويحنا... إنه نفس الصوت... نعم نفس الصوت... دمي كله اجتمع في رأسي ...بكل الحقد... بكل الهمجية... اندفعت نحوها وثقتي أن الله لن يعاقبني إذا قتلتها، كما أفتى البعض بحتمية قتل البلطجية علنًا في الشوارع، الذين يروعوننا وأبناءنا، وشنق من ضللونا وأسبغوا علينا الفقر والتقتير لتمتلئ كروشهم، والذين ضيعونا بين شرق وغرب فوقفنا في مكاننا جهلة خوافين... بغتة نزعت عن وجهها ورأسها ما تضع فإذا بنفس الصليب، ونفس المصحف، ونفس الصوت الذي أدخلني كل المحال وكل الأفكار وكل الشكوك وروع ابنتي... كادت العربة تنزلق بابنتي إلى درجات السلم... امسكت بها امرأة عجوز... تجذبني من يدي مهدئة...

أنا في كل المتناقضات، وكل المتناقضات في... لا أكاد أفهم... ما هذه؟ وسبابتي تشير إلى التي تستر وجهها هاربة... سخرت المرأة بقولها: هذه تجارة هذه الأيام الرائجة التي لا دين لها ولا ذمة.

obeikandl.com

لحم عربي ... ذبح إسلامي

obeikandl.com

obeikandl.com

سأكتب قصة قصيرة... لن أجعل ما برأسي رواية، كل شيء يحدث في لحظات، لو تأملت لأحصيت كل شيء في كلمات... لكني لن أطيع شيطاني وأكتب متفرقات تحت شعار ق.ق.ج مع أن الحياة كلها ق.ق.ج، وأصدق ما فيها النهاية... وهل لها بداية ونهاية؟ بالعدسة المكبرة ترى للنقطة بداية ونهاية، وتصبح قطرة الماء محيطاً. فلتكتب...

ضج الشعب، وكان الوالي منفتحاً، فصار القطر هو الآخر مثل الوالي منفتحاً، وانهال القوم من الأبعاد على بلدي، فقررت أن أترك هذا الهرج، وهذه الضوضاء إلى كتبي، آلاف الكتب بمكتبتي، وكل تواريخ العرب، وحال الأعراب، وحال الإسلام، وكل الأيام، وكل الأبعاد، كل أساطير الأبطال في كتبي، قررت أن أعقد حلقات للدرس... العرب شعوب قد نشأت تحمل فكراً، غلبت صحراء الجدب وأحالت قحط الرمل إلى أشعارٍ سبقت قطارات الزمن، أُعدوا على قدر ليستقبلوا ديناً سيأتي على قدر... أبناء العم ليسوا أبناء العم، لذلك قد كذبوا، لو كانوا أبناء العم لما قالوا عنا أبناء العم، هم فقط اليوم يريدون أن يقضوا على كل العرق الضارب فينا فانتبهوا... أنتم لستم من قوم جهال كما زعموا، هم قالوا هذا لقطعكم عن أصل الزمن، لتكونوا أتبعاً لهم. قام العالم من قومي ينهرني لأني أعيد ذكر عباد الصنم وسجاد الوثن، هم كانوا، والذهب قد خرج من الطين ومن الحجر،

وذهب الطين إلى الطين، وقد بقي الذهب... جاء زبانية الوالي بنداء في الناس بألا يستمعوا لمن يبغي أن يرجعهم لعصور الظلم والعتمة تسكنه، ولا يريد لهم إلا التخلف، هذا الذي يطفيء كل الأنوار الآتية من الغرب... فعقدت دروساً علّي أرشد قومي أني أبداً لم أكره علماً يأتي من الشرق أو الغرب، لكني أكره أن ننسى من أين أتى كل العرب، فقام العالم الفقيه ثانية يحرض... هذا الكافر بالمدنية لا يرجو لكم مستقبلاً، فالحرية قامت على أضواء ثورات الغرب... جاء الوالي وبصحبته زبانية... حذرني... تحدثت إليه بمنطق من عركته الأيام ودرس الماضي والآتي ليجلو الريب... قال بمنطق من يملك رقاب عباد الله: اترك تاريخ الإسلام لتتحدث في أيام العرب ... قلت له: مرحى، ساعدني أن نبعث ذكر الإسلام الخارج من أحد العرب لكل الدنيا يرشدها، ويبني ما هدمت أمم ليخرج صنم غير الذي هدم.

اجتمع القوم لأبعث فيهم سِيَر الإسلام وأمجاد الأبطال وما فعلوا... ازدادت أعداد الآتين وعلموا أن خلاص العالم في شرح الإسلام الحسن... أرسل مسؤول العلاقات الخارجية مندوباً بهدية يرجوني أن أقبل أن أسهم في برنامج تطوير الفكر... قرأت بنود العقد، وفهمت أن المطلوب أن أبحث في الكتب عن دورٍ لمباديء غير الإسلام تساعد في إسعاد الأمم، فالدين ليس الواحد في الإخراج من الكبوات، ولا من الحفر، الإنسان هو

الإنسان، وقد تقهره الأديان، وقد يخصي خوض المعترك... عللت معاناة الدين بالبعد عن الفطرة... دعيت لدرس يحضره الوالي وعلية القوم من بلدي ومن بلدان الدنيا فحضرت لأسمع عل القوم اهتدوا إلى أن العقل الفاهم يتبعني... صدر المرسوم بالإغداق على الشعب ليخرج من سوء العيش ويأكل ما لذ وطاب، ويحيا المتعة في كل الصور... مررت بدكاكين القصابين فرأيت اللافتات قد كتب عليها : لحم عربي.. ذبح إسلامي، حتى على دكاكين الأفرخ قد كتب نفس النص... الناس انفضوا عن الدرس، واللحم صنوف وصنوف، المتعة عمت، ودعاء لمن فرج كرب الشعب، فقيل اللحم المستورد شبع فقراء الشعب ومزارعهم جمعت سلالات قد ذبحت ذبحاً إسلامياً... الناس تغني إذا شبعت. أتفقد مكتبتي ... لم أجد سيرة أعلام العرب.. قد سرقت... لا أعرف كيف، فخزائن كتبي محكمة الغلق... كتب التفسير ملأت دكاكين الكتب... صار الحدثان يجيدون القول في ما أحل وحرم، وأخرج المدفون في جعب النسيان... مرت أعوام، صوتي قد بح، ولا أدري كيف يكون سبيل العودة يا قومي! في الشارع سار منادٍ : قد رحل القوم الأغراب، ونعلن حرية هذا الوطن، لكنا نعلن أيضاً نفاد آخر كميات اللحم. سحقاً. ورفوف مكتبتي خاوية، لم يبق كتاب في البلد.

obeikandl.com

تباريح (قصة تشكيلية)

obeikandl.com

obeikandl.com

أجلس إلى صورتنا القديمة، أغوص فيها... أعيد رسم القَسَمات، أتصور كل ألوان التغير التي خلفتها السنون... لا تُقنع عقلي، لابد أن الرسم يخالف الواقع!

لقد ترابت الأيام؛ أين الأيام؟

هل نفدت حقًا؟

أشعر بها تتفلت من بين أصابعي، أحتلب الذكريات... كنت أقبض على الأيام، ما هي إلا حفنة أشهر، بعدها نلتقي... سأتمم الصورة... لم تكتمل بعد خطوط الرصاص... كنا نحب الرسم بالرصاص... الخطوط... أصلنا الخطوط... الخط هو الجوانية... لن ننمو من غير خطوط... الرصاص هو الأمثل ما دمت لا تعرف حدود الطريق... نقِّط . خطط . حدِّد... امح؛ ليس الكل... ما لا يتفق... يجتمع الرأي، نستقر؟

أولاً الخط ... النقطة لا تعني.

ـ الخط نقاط.

ـ أنا وأنت... ومن يأتي؟

ـ يمتد الخط. ما رأيك في العمق؟

obeikandl.com

ـ كنا طفلين.

ـ ما رأيك في اللون؟

ـ الأفتح أنسب.

ـ الضوء الأصل.

ينعجن الخط... ينتشر الضوء.

ـ ما لون الشعر؟

ـ ولماذا الشعر؟

ـ ابدأ بالعين.

ـ العين تراك.

ـ أنت العين...

ـ فلنبدأ بالعين.

ترتسم الأحلام ، ينتشر الضوء بلون الحلم، الأمل، الأيام . كانت في كفي حفنة أيام.

obeikandl.com

ـ نجعلها البُعد!

ـ أيهما البُعد؟

ـ البعد الخط ... يسيل الخط، ينتشر الظل تحت العين، ننظر فوق...

ـ ما أبعدنا من الظل!

ـ الظل الخط، الخط الظل... أنا وأنت، أنت وأنا. فلننظر فوق، ما أرفع أن ننظر فوق... لن أصعد وحدي.

ذهب الطفلان ، انتظم الشارب... نُحِتَ النهدان.

ـ من منا في العُمق؟

ـ احذر البُعد.

ـ لن أتركها مسطحة... نتفق على اللون.

ـ لون واحد؟

ـ أربعة ألوان... أمس، اليوم، غدًا... حفنة أيام.

ـ أي كل الألوان.

oberkandl.com

نجلس، يلتصق الكتفان، حوار في صمت... تتواتر خواطرنا فيما في الصورة.

ـ أين الخط ؟

ـ صار اللون.

ـ دُفن الخط؟

ـ يبقى الخط ...

الصورة تتضح، نمزج الألوان. أربعة ألوان. لون الصبح، لون الغروب، لون الليل، حفنة أحلام.

ـ أي كل اليوم.

ـ أمامنا الأيام.

ـ أي طول العمر.

ـ لن ننسى ما فات.

ـ ما نحن بلا ما فات؟

في الصورة شبح... طراطيش الألوان...

obeikandl.com

ـ لنغسل الفُرش.

نعالج الشبح بكل أسلحتنا... اللون أصلي، ثابت، لا يَمَّحي.

ـ ماذا نفعل ؟ نشطب؟

ـ سيضيع العمق.

نحاذر أن ينكسر الخط... الخط يستقيم... الشبح يستطيل... يصبح جزءًا من الصورة؛ تتعايش معه الألوان... تتجانس؟

لا يمكن أن تتجانس... يأخذنا الحزن إلى ما بعد حفنة الأحلام... يقترب منا أكثر. نتبين ملامحه... الألوان تتجه إليه؛ يمتص مني أحلامي، يتلون، يتغذى من أحلامي، يتعملق... نهرب في العمق... نتدلى بالخط، الخط رفيع؛ لكنه متين... لن نتخلى عن إتمام الصورة... الشبح خرج من الصورة.

نهدأ... نبتسم، نجلس... من جديد يلتصق الكتفان... نتنفس في العمق... تتضح الرؤية (في السكة) نراها لم تعد طويلة... نتلفت، نشعر بوجود الشبح... نلتصق أكثر... ملامحه أكثر وضوحًا... نثبت له أننا نعرفه... نتعملق... نلتصق... نتمرد... نلتحم. يلوذ بالفرار، طرطش الألوان، ازدحمت الصورة.

obeikandl.com

عاد... يحاول ردم الصورة.

افعل ما تفعل... لدينا الخط... بدّل ملامحه، يلوح من بعيد... من خارج الصورة.

ـ أنت معي ؟

ـ أنت معي ؟

(... حبك رحلة عمري وقدري ...) الليل يخيم... ترفرف الملائكة... تصفر الشياطين... نحاول تنظيف الصورة، نضحك رغمًا عنا... الطرطشات صارت أشباحًا... جيش الأشباح يحتل الصورة.

ـ ألواني؟

ـ ألوانك؟

لن يفلح جيش الأشباح... نعرفهم... بدأ الحفر، يريدون الخط ... نعرفهم، نكثف الألوان، يشتد الحفر... نعرفهم، تتضح الصورة... نعرفهم أكثر... تتضح الصورة، حدود الصورة أشباح ترفع رايات النار إيذانًا بالدخول، يعود الشبح... نعرفه، نفس الشبح... جِلدٌ آخر، وجه آخر، ثوب آخر، نفس الشبح... (البلدوزر) يقتحم... مكللاً بالورود ،

obeikandl.com

فيه من ملامح الفيل، وعليه أبرهة... يصفق له ألف أبرهة.

فتق الصورة... شطر الألوان... صلبة جدًا... نلوِّن قدر طاقتنا، السرعة فائقة، نلون فوق الطاقة، (لو بطلنا نحلم نموت).

يحفر في العمق، معاوله كثيرة، قوية، تجتمع الأشباح... انفجار... أنا خارج الصورة. أنت فيها.

وحدي معها، وحدك فيها... يأتيني آخر... صوت يغني (الوهم فات والذكريات قالتلي حبك بالوجود يا ريت تعود ... يا ريت تعود)

obeikandl.com

obeikandl.com

المفتاح

obeikandl.com

obeikandl.com

أين ذهب هذا المفتاح الغبي؟

ماذا أفعل أكثر مما فعلت؟ بحثت عنه في كل مكان... لابد أن أقرأ الرسائل، أعتقد أنها في حاجة لأن أطلق سراحها، الهواء لا ينفذ إلى الصندوق إلا من فتحة ضيقة... كيف لها الآن أن تتنفس، كيف لها أن تتنسم هذا العبير الربيعي؟

أشعر بالضيق... أشعر بها مكبلة بهذا الشريط الحريري الذي أهدتني إياه لأحزم ذكرياتنا الجميلة به... كانت تقول لي: أطلقني كل يوم أتنسم أنفاس الصباح، وأودعك وأنت ذاهب إلى عملك... وجدت طريقها إلى قلبي دون أي مفتاح، وها أنا أبحث عن المفتاح لأطلقها من محبسها... إنها تتنفس في رسائلها، أنا أتنفس في رسائلي التي تحتفظ بها...

الدماء تصعد في رأسي... أتسرب إلى داخل الصندوق... أهجم على الرسائل... أفك قيدها... أنفث فيها من أنفاسي.

(١)

هذه أول قبلة طبعت على ورقة لي.

نعم أحبك حبيبي، وهذه قبلتي ستظل شاهدة على حبي، وستبوح هاتان الشفتان لك كلما فتحت هذه الورقة وعليها لون شفتي الذي تحب.

obeikandi.com

كنت أحب هذا اللون الأحمر، كم شعرت أنني في كل مرة أراه أنتحر على هاتين الشفتين، أو أنني شهيد الدفاع عنهما.

(٢)

يا درة الروح التي تقلدها الرحيل، أنت أيها المسافر في كياني، كلما ابتعدت بك الأرض ازددت قربًا من قلبي لأنك تسكن إلى جواره، وكلاكما سبب لحياتي. أشعر بك الآن وقد أعمل بك البعد طعانه. ألم تقل لي: إننا من عصر سبق العصور؟

اذكرني.

نعم قلت لكِ، وما زلت أقول، وما زلت أسافر فيكِ لأنكِ رحلتي، بل أنتِ الحب، وكم أنتِ كريمة برسائلكِ حبيبتي.

(٣)

اليوم حبيبي تذكرت يوم كنا معًا نسابق أسراب النسيم على شاطئ النهر، كنتَ يومها أرق من النسيم وأكرم من النهر عطاءً، حملتَ عن نفسي كل آلامها، وكل الأوجاع، وأغدقت علي من الابتسام وأنتَ تسقيني كؤوس الحنان، لكنكَ كنت الأشد حزمًا. أتذكر ما حدث يومها؟

obeikandl.com

رفع عينيه عن الرسالة وحملق في ذكرياته... كان وسيمًا ذاك الشاب الذي لا أعرف من أين خرج، ربما خرج من شقوق الإسفلت، أو ربما لفظه النهر... كان ينظر إليكِ... كنتُ ألمحه من بعيد... كان يُواري نظراته، لكن عينك فاضحة... بانت فيها ملامح الهروب من نظراته... كنتِ تنظرين إليَّ نظرة المشفق، وقتها لم تُبنْ عيناكِ سبب الشفقة، ألأنه أكثر وسامة؟ بل ربما لم تمنحني الوسامة أي خط من خطوطها... أم لأن علامات الثراء كانت ترقص حوله؟

عاد بنظره في الرسالة، نَهَرْتَني، وهممتَ بالشاب تعاركه، لكنه كان لبقًا حين قال: إنني أتابع الشمس في المغيب. اقتنعتَ بقوله، حينها تمنيتُ لو أنه نهركَ وقال: من أنت ومن تكون؟ تمنيتُ أن يقسم أنه كان يحملق فيَّ أنا. تمنيت أن أشعر أنكَ تحارب مدافعًا عني ضد النظرة، ضد الابتسام، ضد الحلم، فلكم كنت أتمنى أن توازن بين غيرتكِ البائنة عليَّ آثارها ولا تبين على غيري. كم أنت شجاع يا حبيبي، ولكن...

لك ابتسامة تضاهي روعة الذكريات.

(٤)

هذه رسالتها التي وصلتني في عيد الحب. منذ صار للحب يوم عيد جف العام ليجري فيه الحب ليوم واحد، كانت الأيام حبًا، أما اليوم فالدمى

الخرساء تنطق نيابة عن المحبين، طيور الحب الأسطورية ما عادت تحمل المحبين ولم تعد تحلق في عوالمهم الرحبة.

حبيبي ، وكل يوم حبيبي ، وكل يوم عندما يميل المساء على الأرض أحتفل معك في وحدتي ، أيها الساكن في الدروب، وفي الأزقة، والحنايا، أيها الساكن في مصبات دمائي، تشرب ما شئت من حياتي، أحبك يا عالمًا أوسع من العالم، هذا يوم الحب يا حبيبي... وصلتني ورودك المحنطة التي تحمل أسماء العشاق، ومجانين الغرام، أيها المجنون الذي أحببت فيه الجنون، ألا تكف يا مجنوني عن اقتحام حصون البعد، تأتيني على أجنحة المساء بطائرك الذي ينقر نافذتي لتنفتح له فأجدك تهديني قبلة لم أذقها إلا في الخيال؟

لك قبلة أوسع من عالم الخيال.

كان عيد الحب في العام السابق مختلفًا كنا ليلتها نقرأ مقالات في الحب، وقرأنا تاجر البندقية... ما أغربنا من عاشقين ! نحتفل بين المقالات وقصص العاشقين... لكني لست تاجرًا... وحبيبتي ليست ابنة الملكِ ، ومهما كتب المغازي لن يكتب مقالة عن حب كحبنا لأنه ربما لم يقض عيد حب كما قضيناه... كنا نتعاطى الأحلام المضادة لليأس، ونزرع في قلوبنا أزهارًا تتلاقح ونسمي كل زهرة باسم يوم من أيام تلاقينا.

(٥)

نعم . نعم، هذه رسالتها التي تعاتبني فيها لأني تأخرت في الرد عليها .

أي حبيب،

أبكل عهودنا قد أطحت؟ وقطعت بيننا السبل؟ وردمت النهر؟ أم أنك آثرت التحليق في الرحلة وحدك لا ترجو فيها الرفيق؟ هذا الرفيق الذي أنت منه، إنها أنا، أنا التي تسامر الليل، تراوده ألا يترك السماء فينبلج الصبح معلنًا انقضاء يوم يترك أثره في جلد ذاتي التي يجلدها الترقب بسياطه، مكبلة بدمع عيني الذي يقتات التعاسة المثمرة في خدودي، وتشَّقَّقُ عن حيات تطوقني خانقة، تفح في أذني بأن لا أمان، ولا زمان يذهب بالحبيب ليعود به.

أهكذا أنت راحل بلا وداعٍ؟

ركن ظهره إلى ذاك اليوم وقد وضع يده على قلبه الذي يخفق الآن نفس الخفقات المضطربة بين الرعونة والكسل... كان المشفى بعيدًا عن مسكنه... اشتدت به النوبة... ابتلعته الغيبوبة في دوامتها إلى الأعماق وكمته بالصمت... سافرت ثناياه الصوتية في رحلة بعيدة... إنه في أرض غير الأرض، وعالم غير العالم، إلا أنها معه فيه... كانت تنفخ في قلبه من

روحها وتبتسم بالبشرى

ـ حتى لو كان هذا عالمنا فأنا معك... لا تتركني ، فأنا لن أتركك.

نظر في الرسالة مرة ومرة ومرة... غبتُ عن العالم عشرين يومًا، وعدت من العالم الآخر، لكنكِ كنتِ معي.

ما زال يركن ظهره إلى حائط ذكرياته.

(٦)

هذه رسالة اعتذارك. لا تطلبين مني تجديد العهد، لكنكِ تجددينه، وتختمينه بأول خاتم ختمتِ به أولى رسائلكِ.

جرس الباب ، صوت الكروان الذي تحب.

ويحي من مهووس، أين المفاتيح؟ وقت ذهابي للعمل! لم يعد الراتب يتحمل أي خصومات .

استمر الجرس طويلاً .

رسالة تنزلق من تحت الباب.

دعوة آثمة

obeikandl.com

obeikandl.com

انطلقت إلى الشاطئ بخطى لاهثة... ألقت بساقيها إلى الماء، فاتحة صدرها للهواء، فاردة نظرها إلى السماء... عبث الموج بركبتيها، يدغدغها الذي في أحشائها... هل يريد الفرار من ضيق بطنها إلى سعة العالم؟

الحارة ضيقة، شوارعها ما هي إلا شقوق في جدران شد الزمن لحمتها، وأسقط أطليتها ليحل محلها لونه الكالح... رائحة البحر شهية تسحبها إلى أبعد من المسافة التي تلتقي فيها السماء معه في مشهد حنون... تسحب نفسًا عميقًا... تهز رأسها... إنه وهم كبير... السماء لا تعانق البحر إلا وهمًا... الغروب مشهد يتغنى به الناس، وهأنا مع البحر والسماء والشمس المائلة... كانت شهية في الصباح وهي تتسلق الفضاء نحو السماء، تمحو كل مشهد فيها، وكل عالق فيها، لتبقى وحدها سيدة عرشها، تقبل خدود الغيم المراوغ... كل جمال في فتوته وبكارته مراوغ...

من فوق أسطح بيوتنا يبدو السحاب حزينًا... من فوق الأسطح كل شيء مفضوح، كل صوت مسموع... كل أنين معلوم تفسيره... الأشجار العتيقة بقدر ما تتشهى الشمس تنعتها بالسفور والتعري، لكنها كلما ضجت... هُزت... زُلزلت... أُحرقت.

النسيم يعبث بشعرها المنسدل على كتفيها غير منتظم، مهلهل، مكبوت، جائع... أبخرة الطبخ تخرج من أنفاسه الثقيلة، يحاول جاهدًا أن يتقافز مع النسيم... أطرافه مقصفة... ولم لا؟ الكساح مصير كل ما لا يرى الشمس، يبقى حيًا، لكنه يبقى في مكانه، تحت رحمة من ينقله أو يعينه، وإذا زحف كان تحت الأقدام.

الرمال تتحرك من تحت الموج، تعبث بأصابع قدميها... كل شيء يتحرك... في الحارة الكل يتحرك، لكن الحركة مؤلمة دائمًا، حتى الضحكات مؤلمة كثيرًا... نخبئ الأفراح خوفًا من الحسد... الشمس تقترب من صفحة البحر... شعرها تنفس بعمق، يتقافز... الذي في بطنها يتحرك... انتظر فربما تكون أنت وجه الخير... انتبهت لكونها لم تتحرك خطوة واحدة منذ وقفت... انسلخت الشمس من ثوبها الملون... تحللت ليستقبلها قبرها عارية.

جاء من خلفها هامسًا في أذنها:

ـ استمتعتِ بالبحر؟

ـ كأنني أراه لأول مرة.

ـ والغروب؟

التفتت إليه بينما يتناول يديها ويقربها منه

ـ كما هي الشمس، تغرب لتشرق من جديد.

ـ تقصدين: تنتحر لتبعث واحدة أخرى... هيا بنا.

ـ تأخر بنا الوقت.

ـ الثورة قامت على كل شيء.

تنهدت بعمق سحيق... موجة كبيرة باغتتها على حين غفلة... التقطها بين ذراعيه... بللها البحر... ذاقت ملحه بينما تستنشق رائحته... حاول أن يسحبها من يديها... هزت رأسها رافضة وابتسمت... وضعت يدها الأخرى على بطنها... لن أجهضه... نظر إليها متعجبًا وهي تقول: إذا ذهبتُ معك سأجهضه... صحيح أنك غيرت أفكاري، وحررتني من القهر، لكنني أراه هو أيضًا قد تغير وبدأ يحلم بالغد... مكاني هناك معه... على الكورنيش... الآن أنا قادرة على أن أرفض وأطلب.

obeikandl.com

المحتوى

- الـــدفء ٩
- الضحيـــة ١٩
- المصلحون في الأرض ٢٧
- الخط الأبيض ٣٥
- كلاب الشوارع ٤١
- الحرية في قصر ٤٧
- أحذية بيضاء ٥٣
- بطعم الحياة ٥٩
- هذيان كل يوم ٦٥
- الأرشيف ٧١
- المعبر ٧٩
- ثورة البيوض ٨٥
- شاهد وشهيد ٩٣
- تهانـي ١٠٣
- شيطان يطلب إعانة ١١١
- السقوط ١١٧
- أسواق اليوم ١٢٥
- لحم عربي ... ذبح إسلامي ١٣٥
- تباريح (قصة تشكيلية) ١٤١
- المفتاح ١٥١
- دعوة آثمة ١٥٩

obeikandl.com

obeikandl.com

رقم الايداع / ١٥٥٧٧ / ٢٠١٣ ط١

تدمك / ٩ - ٣٩ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

obeikandl.com